صدى القرآن

العدد الأول
السنة الأولى
١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م

١

مجلة قرآنية ... ثقافية ... فصلية

- الاختلاف في الدين نظرة قرآنية
- الأدلة القرآنية على مشروعية التقية
- الضرر المعنوي وحرمته في القرآن الكريم
- الأمثال في القرآن الكريم
- السلام والحرب في المنظور القرآني
- الهداية في القرآن الكريم
- تهذيب النفس وتقويمها في القرآن الكريم
- مقومات الوحدة في القرآن الكريم ومظاهرها

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الأول

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

العدد الأول ـ السنة الأولى ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

محتويات العدد

الافتتاحية (٢-٣)

مقالات وبحوث (٤-١٠٥)

الاختلاف في الدين نظرة قرآنية / ٤

(سماحة السيد محمد الشوكي)

الأدلة القرآنية على مشروعية التقية / ١٨

(سماحة السيد فالح الموسوي)

الضرر المعنوي وحرمته في القرآن الكريم / ٣٤

(د.السيد عبد الحسين الموسوي الصائغ)

الأمثال في القرآن الكريم / ٥٢

(الأستاذ شهيد الخطيب)

الإسلام والحرب في منظور القرآني / ٥٦

(د. السيد نذير الحسني)

الهداية في القرآن الكريم / ٦٦

(سماحة السيد فاضل الموسوي الجابري)

تهذيب النفس وتقييمها النفس في القرآن الكريم / ٨٠

(سماحة الشيخ عبدالجليل المكراني)

مقومات الوحدة في القرآن الكريم ومظاهرها / ٩٤

(سعيد العذاري – أو شهاب الدين الحسيني)

لقاء والتعريف (١١٠-١١٥)

وقفة مع القارئ المصري الكبير الدكتور عبد الفتاح الطاروطي / ١١٠

دار السيدة رقية (عليها السلام) للقرآن الكريم / ١١٤

مشاريع قرآنية (١١٦-١٢١)

المشروع القرآني في الجامعات العراقية / ١١٦

مرفأ قرآني (١٢٢)

هيئة التحرير

الاشراف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

المدير التنفيذي

الشيخ حسن المنصوري

رئيس التحرير

أ. د. عبود جودي الحلي

مدير التحرير

د. السيد حسين الصائغ

سكرتير التحرير

الأستاذ عمار الخزاعي

هيئة التحرير

الدكتور سالم جاري

الأستاذ عبد الرضا هيجل

الشيخ قاسم مصري العاملي

المصحح اللغوي

كرار الشمري

ترجمة

سعد شريف طاهر

التنسيق والعلاقات

السيد أياد الغالبي / العراق

الأستاذ زكي التوري / سورية

السيد علي ابو الحسن / لبنان

الاخراج الفني

علي مروّح و علي سلوم

التنفيذ الفني

عادل المياح

www.dar-alquran.org

darinfo3@gmail.com

الحمـــد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآلـــه الطيبين الطاهرين، وعجل فرجهم بظهور إمامنـــا ووليّ نعمتنا المهدي المنتظر عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام.

وبعد، فإنّ ربنا ـ تقدســتْ أسماؤه ـ كرّمَ بـــني آدم وحملهم في الـــبر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم علـــى كثير ممّن خَلَقَ تفضيـــلاً، ومن أوجه تفضيلهـــم أن خصهم بالتكليف، وخاطبهم بكتابـــه الكريم الذي لا يأتيـــه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه، وجعله يهدي للتي هي أقوم ويبشـــر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا، وأمرهم بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، بعد أن أمرهم بالإسلام، إذ قال (سبحانه وتعالى) على لسانِ ســـيد خلقه (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وأمرتُ أنْ أكونَ من المسلمين، وأنْ أتلو القرآنَ...﴾ وحذّر المسلمين من التقصير في إتباعه والتهاون في تلاوته وإلّا فســـيكونون موضع شكوى النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وســـلم)يومَ يقول: ﴿يا ربِّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآنَ مهجورًا﴾. ولقد بشر النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وســـلم) من يتلو القرآن الكريم بالثواب الجزيـــل وبأن يدفع الله عنه بلاء الدنيا، وبشر من يستمع إلى تلاوة القرآن الكريم بمثـــل هذا الثواب وبأن يدفع الله عنه بلاء الآخرة.

ومن كلام لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الســـلام): (واعلموا أن هذا القـــرآن هو الناصح الـــذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، المحـــدث الذي لا يكذب، وما جالسَ هذا القرآن أحدٌ إلّا قامَ عنه بزيادة أو نقصان (زيادة في الهدى، أو نقصان في عمى،

واعلمـــوا أنه ليس على أحـــد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى...).

واليوم وقد تنوعت الأفكار وتضاربت الآراء وتعددت وســـائل الإتصـــال، وزرع الأعداء في أذهان البسطاء أنواع الأفكار الضالة والعقائد المنحرفة والممارســـات المغلوطة حتى صارَ الإســـلام ـ وهو دين الرحمة والإنســـانية ـ قريناً للعدوان والإرهاب في كثيرٍ من الأذهان، ولاسيما في غير بلاد المسلمين...

ما أحرانا إلى العودة إلى الينبوع الصافي.. إلى كتاب الله العزيـــز.. الذي أصلحَ الله به الأمة في عهودها الذهبية الغابرة، وهو الجدير بإصلاحها في عهودها الحاضـــرة، فقد رُوِيَ «أنّ رجلاً ســـأل أبا عبد الله (عليه السلام): (ما بال القرآن لا يزداد على النشـــر والدرس إلّا غضاضة؟. فقـــال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعلـــه لزمان دون زمـــان، ولا لناس دون ناس، فهـــو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة». فإذا أردنا خير الدنيا وثواب الآخرة علينـــا بكتاب الله المجيد نتلو آياته ونتأمـــل في معانيها، فقد رُوِيَ أن الإمام علي بن الحسين الســـجاد (عليه السلام) أنه قال: (آيـــات القرآن خزائـــن، فكلما فتحت خزانة، فينبغي لك أن تنظرَ ما فيها).

ولقد نهضتْ دار القرآن الكريم في العتبة الحســـينية المقدسة، بمهمة ســـامية تتمثل في إقامـــة الندوات القرآنيـــة وتنظيم دورات تحفيظ القرآن الكـــريم وتعليم آداب التلاوة وأصولهـــا، وغير ذلك من النشـــاطات التي تهدف إلى إعادة المسلمين إلى ساحة القرآن الكريم وانتشال الأجيال من الدعايات الضالة والإتجاهات التربوية المنحرفة، واليوم تلجُ دار القرآن الكريم ميداناً جديـــداً بأن تضع بين أيدي المسلمين هذه المجلة القرآنية، وما فيها من أبحاثٍ ومقالات متنوعة كلها تدور في هذا الفلك الشـــريف، وهي تدعـــو العلماء الكرام والأدباء والكتاب الرســـاليين إلى رفدها بما تجود به أفكارهم وما تسطره أقلامهم.

ونحن في هذا العدد الأول نستلهم التوفيق ممن نحن معتكفون في حضرته المطهرة سيد الشـــهداء وسبط الرســـول الكريم وأعني به إمامنا الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام).

﴿رَبَّنَـــا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّســـينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَـــا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْـــراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّـــا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

رئيس التحرير

الاختلاف في الدين نظرة قرآنية

سماحة السيد محمد الشوكي[1]

مثّل الاختلاف الديـــني والمذهبي ـ ولا يزال ـ عنصراً فاعلاً في صياغة تاريخ البشرية والتحكم في الكثير من مساراتها، ولعب في أكثر الأحيان ـ على عكس ما أراده الله تعالى للدين من كونه عنصر وحدة وأمن وســـلام- دوراً تخريبياً كبيراً، فكثير من الحروب والصراعات الدموية التي صبغت تاريخ البشرية بلونٍ قانٍ كان الاختلاف الديني محركاً أساسياً فيها.

ولعلّ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ

(١) أستاذ وخطيب وباحث إسلامي له كتابات مختلفة، وبالخصوص في بحوث المهدوية.

بِأَنَّ اللَّه نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[1] يؤكّد هذه المسألة بشكل واضح، فإنّه بعد الاختلاف في الكتاب ـ الذي هو صورة من صور الاختلاف في الدين، بل هو الأساس في الاختلاف الديني؛ لأنّ الاختلاف الديني ينطلق من الاختلاف في الكتاب الذي يمثل دستور الدين، حيث يؤوله كل واحد بما يشاء وبما يدعم مدّعياته ومتبنّياته وينسجم مع أهواءه ومشتهياته- أعمق الاختلافات وأشدّها رسوخاً وخطورة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ فالذين اختلفوا في الكتاب في شقاق، والشقاق ليس اختلافاً عادياً، وإنّما الشقاق يعطي معنى التفرق والتمزق؛ لأنّه من شقّ يشق، والشق يعطي معنى التفريق والتمزيق، وأنّ فيه معنى العداوة كما يرى الكثير من أهل اللغة، حيث فسروا الشقاق بالعداوة، ثمّ تصف الآية هذا الشقاق بأنّه بعيد، وذلك يدل على أنّ الاختلاف في الكتاب وفي الدين هو من أعمق الاختلافات وأبعدها مدى على الإطلاق.

وقد كان يُتصور أنّه مع تطور الحياة وتقدّم العلوم سوف تقل غلواء الاختلاف والتعصب الديني، وتقل فاعليته في ساحة الصراع، إلّا أنّه ـ وللأسف الشديد ـ لازلنا نرى أنّ الاختلاف الديني والمذهبي لا زال لاعباً

(١) البقرة: ١٧٦.

ساسياً في ميدان الصراع العالمي، فمع أحداث سبتمبر في أمريكا وما أعقبها من ارتدادات انعكاسات عاد الاختلاف الديني إلى المشهد العالمي من جديد، وقُدّم ليكون في الواجهة رة أخرى، وصوّر صراع السياسة والاقتصاد المصالح وكالعادة على أنّه صراع بين الأديان، نشطت الذاكرة الجمعية واستحضر الجميع حداث الماضي المريرة فيما عرف بالحروب لصليبية.

إنّ كثيراً من الصراعات تغلّف دائماً بغلاف الدين، وإن كانت في الأساس صراعات سياسية أو اقتصادية أو حتى شخصية، فيتم التحشيد الديني لها من أجل التغطية على محاور الصراع الأساسية، فعندما أتى موسى (عليه السلام) إلى فرعون يطلب منه أن يكف عن اضطهاد بني إسرائيل وأن يرسلهم معه ولا يعذبهم ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾[2]، نرى فرعون يستدعي الدين إلى الواجهة ويحشد الناس ضد موسى(عليه السلام) باسم الدين: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[3].

والذي يبدو من قراءة المشهد العالمي سياسياً وثقافياً وإيديولوجياً أنّ العالم ماضٍ إلى مزيد من الصراع الذي يُراد له أن يلوّن بلون الدين هذه المرة أيضاً، وخصوصاً في منطقتنا الإسلامية التي يُراد لها أن تغرق في وحل الاختلاف والتناحر المذهبي لتغفل كالعادة عن قضاياها المصيرية الهامة.

وانطلاقاً ممّا يمثله هذا الموضوع من أهمية كبيرة وبالغة الخطورة في الواقع العالمي، حاولنا أن ندرس الاختلاف الديني من زاوية قرآنية، حيث ركز القرآن على هذا الموضوع في عدة آيات من آياته الكريمة؛ لأنّه ليس من المنطقي أن يغفل القرآن الكريم موضوعاً بهذا المستوى من الأهمية التاريخية.

وما من شك أنّ موضوعاً بهذه السعة والخطورة يحتاج في معالجته لأكثر من مقالة وكتاب، ولكنا حاولنا في هذا البحث أن نركز على أسباب الاختلاف الديني ومفاعيله في القرآن الكريم، والموقف منه وكيفية التعامل معه، مع الإشارة إلى مواضيع أخرى ترتبط به ارتباطاً وثيقاً.

(٢) طه: ٤٧.
(٣) غافر: ٢٦.

الاختلاف التكويني والاختلاف التشريعي

المطالع لآيات الذكر الحكيم يجد أنّه قد تحدث عن نوعين من الاختلاف: الاختلاف التكويني والاختلاف التشريعي. أمّا الاختلاف التكويني فإنّنا نلمسه في كل أرجاء هذا الكون الفسيح، ففي كوننا الشاسع نجد ثمّة عناصر مشتركة وقوانين عامة تحكم مفرداته المتنوعة، وهناك عناصر اختلاف وتنوع أيضاً، اختلاف في الحقائق والأشكال والأحجام والألوان والطبائع وما إلى ذلك.

هذا الاختلاف التكويني نلمسه في محيط الإنسان وكذلك في دائرة الإنسان ذاته، فمحيط الإنسان يشهد تنوعاً واختلافاً واضحاً، فعالم السماء يختلف عن عالم الأرض، وعالم البر في الأرض يختلف عن عالم البحر، وفي كلّ من هذه العوالم تجد أيضاً اختلافاً وتنوّعاً، ففي عالم البحر تجد اختلافاً عظيماً في الكائنات البحرية التي لا حصر لها، في ألوانها وأحجامها وأشكالها وطبيعة عيشها، وكذلك في عالم البر تجد هذا الاختلاف في الطبائع والحقائق والألوان والأشكال.

وهذا الاختلاف والتنوّع هو أحد مظاهر الكمال والجمال في هذا الكون الرائع، ولولا هذا التنوع والاختلاف لما كان للكون أي مظهر جمالي. فأنت عندما تطالع صفحة هذا الكتاب العظيم تشعر بعظمة الخالق وبجمال الخلق، هذه البحار الزرقاء الممتدة المليئة بالأحياء المرجانية الخلّابة والأسماك ذات الألوان الأخّاذة، وهذه الصحارى المتثائبة بكثبانها الرملية وتعرجاتها البديعة، وهذه الجبال الشاهقة المتطاولة وما يتفجر منها من عيون وما ينحدر عنها من شلالات هادرة، وهذه الأزهار المتنوعة في أشكالها وتلاوينها وعبقها، وهذه الفواكه المختلفة في ألوانها وأشكالها وفي طعمها ومذاقها، هذه كلّها تعطي منظراً جمالياً رائعاً للكون وتدلك على عظمة مَن أبدعها وخلقَها.

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم كثيراً، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[2].

وهذا الاختلاف في الألوان والأشكال حاكم على عالم الإنسان أيضاً، فأنت ترى بين هذه المليارات الكبيرة من البشر لا أحد يشبه أحداً

(١) الأنعام:١٤١.

(٢) النحل:١٢،١٣.

في جميع التفاصيل، فالأشكال مختلفة والألوان مختلفة والأصوات مختلفة وبصمات اليد مختلفة والعيون مختلفة... ولو جمعتَ أمهر مهندسي وفناني العالم لمَا استطاعوا أن يوجدوا لك شكلاً محدداً بهذا القدر من التنوع، ولتكرر الانموذج عندهم آلاف المرات. فالإنسان باعتباره إحدى مفردات هذا الكون وإحدى كلماته يحكمه قانون الاختلاف كبقية المفردات الأُخر، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٣]، ويقول أيضاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[٤].

هذا الاختلاف التكويني في الألوان والأشكال والألسنة والاستعدادات والذكاء في عالم الإنسان كله أمر إيجابي وكمالي بلا ريب، ولكن يوجد هناك ثمة اختلاف آخر أشار إليه القرآن الكريم وهو اختلاف سلبي، وهذا هو الاختلاف في الدين والاختلاف في الكتاب (الاختلاف التشريعي).

---

(٣) (فاطر:٢٧،٢٨).

(٤) (الروم:٢٢).

هذا الاختلاف ذمه القرآن كثيراً، وهو حالة سلبية في المجتمع، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٥]. ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦]، ويقول كذلك﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٧] ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٨].

وأنت ترى هذه الآيات الكريمات وغيرها تنهى عن الاختلاف وتذمّه ذمّاً شديداً ممّا يجعلنا نعي جيداً نظرة الإسلام إلى الاختلاف في الدين والكتاب، ونتبيّن أنّها نظرة سلبية جداً.

الاختلاف الديني رحمة أم نقمة ؟

يحاول بعضهم أن يصوّر لنا أنّ الاختلاف الديني يمثّل رحمةً إلهيةً للبشرية، ويحاول

---

(٥) (البقرة:١٧٦).

(٦) (آل عمران:١٠٤،١٠٥).

(٧) (الروم: ٣١، ٣٢).

(٨) (الأنعام: ١٥٩).

الإفادة من الآيتين الكريمتين في سورة هود في تدعيم ذلك، وأعني بهما قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

حيث يُرجع بعض الكُتّاب اسم الإشارة (ذلك) إلى الاختلاف، ويصوّر لنا أنّ الله خلق البشرية من أجل أن تختلف ولذلك خلقهم أي خلقهم ليكونوا مختلفين؛ لأنّ اختلافهم رحمة، إلّا أنّ الحق إنّ اسم الإشارة كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام يعود على الرحمة، أي وللرحمة خلقهم. ومعنى الآية ـ والله العالم ـ أنّ الله تعالى لو شاء لجعل الناس جميعاً من البداية ملّة واحدة ونَسَقاً واحداً في العقيدة والسلوك بالفعل التكويني الجبري الإلجائي، فلم يعص منهم عاصٍ ولم يخالف منهم مخالف، ولكن شاءت حكمته أن يجعلهم أحراراً مختارين غير مجبرين على هدى أو ضلال أو طاعة أو معصية، فلهذا اختلفوا في الحق وسار كلّ منهم في مسار، ولم يجتمعوا كلّهم على الهدى. ولا يزالون كذلك مختلفين إلّا مَن رحم الله منهم ووفقه للاجتماع على هدى الله وشريعته، ولذلك خلقهم، أي خلقهم ليجتمعوا على طاعته وعبادته فيستحقوا رحمته، ولم يخلقهم لأجل أن يختلفوا عن شريعته وما يوجب محبّته، وإن كان الحاصل هو ذلك لمكان اختيارهم.

وعلى أي حال فالله تعالى استثنى الذين رحمهم من الاختلاف، ممّا يدل على أنّ الاختلاف في الدين نقمة وليس رحمة، وأنّ المرحوم مَن أنجاه الله تعالى من الاختلاف. وكيف يمكن أن يكون الاختلاف رحمةً وقد نهانا الله تعالى عنه في أكثر من موضع من كتابه العزيز، كما قرأت في بعض الآيات السالفة! وكيف يحثّنا كلّ هذا الحث على الوحدة والاتحاد وينهانا عن التفرق! فالاختلاف لنا رحمة يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

وقوله كذلك: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

(١) (هود: ١١٨، ١١٩).

(٢) (الشورى: ١٣).

(٣) (آل عمران: ١٠٣).

وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[4].

وقد يظنّ بعضهم أنّ الأمة الواحدة في هذه الآية الأخيرة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ هي أمّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأنّها أمّة واحدة، ولكنّ الذي يقرأ الآيات التي سبقتها يرى بوضوح أنّ المراد بهذه الأمّة هي أمّة التوحيد التي تشمل جميع الرسالات وجميع الأمم الموحدة، فإنّ هذه الآية قد جاءت في نهاية الآيات التي تحدّثت عن الأنبياء السابقين وتجاربهم مع أممهم، لتقول لنا إنّ هؤلاء الأنبياء أمة واحدة، وأنتم منها وهي أمتكم، فإنّ الدين واحد نزل من عند الواحد، وإنّما الاختلاف في الدين نشأ من عوامل أخرخارجة عنه.

سبب الاختلاف في الدين

إذا كان الدين واحداً والأنبياء جميعاً وأتباعهم أمة واحدة، فما هو سبب الاختلاف في الدين إذن؟ لا يخلو الأمر من فرضيتين:

الفرضية الأولى: أن يكون الدين نفسه داعياً للاختلاف.

والفرضية الثانية: أن يكون الناس هم سبب الاختلاف.

الفرضية الأولى غير صحيحة وذلك لأمرين أساسيين:

الأول: لمّا عرفتَ من أنّ الأديان جميعها واحدة تنبع من منبع واحد وتصبّ في مصب واحد، وأنّها جاءت لتنهى عن الفرقة والاختلاف.

والثاني: إنّ الأديان جاءت لترفع الاختلاف بين الناس، والله تعالى إنّما أنزل الكتب السماوية وأرسل الرسل من أجل أن يحكموا بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، فكيف تكون مدعاة للاختلاف؟ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5]. وهذا ليس مختصّاً بالقرآن الكريم وحده، وإنّما هو أمر سار في جميع الكتب الإلهية. يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[6].

فالأديان جميعاً ـ برسلها وكتبها ـ جاءت لرفع الاختلاف في الدين، فكيف تكون منشأً للاختلاف فيه، فلابدّ أنّ سبب الاختلاف هو ما تفرضه الفرضية الثانية، أي الناس أنفسهم.

وإذا عرفنا أنّ سبب الاختلاف في الدين هم الناس أنفسهم، يتولّد لدينا سؤال آخر: ما هو سبب اختلاف الناس في الكتاب وفي الدين؟

ربّما يتراءى للذهن أوّل وهلة أنّ السبب في ذلك جهل الناس بالكتاب وبالدين، والجهل مثار الاختلاف غالباً، وهذا أمر صحيح لا ريب فيه، فالجهل هو أحد أسباب الاختلاف.

---

(4) (الأنبياء: 92)

(5) (النحل: 64)

(6) (البقرة:213)

ولكنّنا لا نرى القرآن الكريم يركّز عليه في مسألة الاختلاف في الدين، ولا يرى أنّه أساس المشكلة، وإنّما نرى القرآن غالباً ما يركّز على أنّ الاختلاف يأتي بعد العلم وليس بعد الجهل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[2].

ويقول: ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

فأنت ترى هذه الآية تصرّح أنّ القوم لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، فالعلماء إذاً سبب الفرقة والاختلاف وليس الجهال.

ولكن كيف يكون ذلك وهل يمكن للعلم أن يؤدي إلى الفرقة والاختلاف؟ المفروض أنّ العلم نور والنور يجمع الناس إليه، والجهل ظلمة والظلمة تفرّق الناس وتشتّتهم، فكيف يمكن للعلم أن يكون سبب المشكلة؟

الحقيقة أنّ العلم بما هو علم ليس سبباً للمشكلة، ولكنّ المشكلة هي البغي بعد العلم، وهذا هو الذي أكّدت عليه الآيات الكريمة: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. نعم بغياً بينهم. الجهل ليس هو السبب الأساس في الاختلاف في الدين؛ لأنّ الجاهل بإمكانه أن يسأل ويصل إلى الحقّ، وبإمكانك أن تعلّمه وترشده. وليس هو العلم أيضاً؛ لأنّ العلم نور. ولكنّه البغي بعد العلم.

ليس الجاهلون الذين حرّفوا الأديان ومزّقوا الأمم وفرقوا الناس إلى مذاهب وطوائف، وليس هم العلماء الحقيقيون بطبيعة الحال، ولكنّهم العلماء البغاة، الذين يتّبعون أهواءهم، ويقودهم الأنا والغرور والطمع والحسد وما إلى ذلك.

---

(١) ((آل عمران: ١٩)).

(٢) (الشورى:١٤).

(٣) (الجاثية:١٧)

البغي على منصب أمناء الله

إنّ الله تعالى عندما يشـــرّع الدين وينزل الكتب لابدّ أن يجعل ثمّة من يبيّن هذا الدين للناس. وهذا الإنسان المبيّن للدين وشريعة ربّ العالمين لابـــدّ أن يكون عالماً ومحيطاً بالدين وبالكتاب الذي يمثّل دستور الدين الأساس، حتى يكون بيانه حقاً مطلقاً غير مخالف للواقع. فأنا عندما لا أكون محيطاً بالكتاب وواقفاً على كلّ تفاصيله، فكلّ ما سأبينه للناس سيكون مجرد رأي قابل للصح والخطأ، قد أُصيب الواقع فيه وقد أخطئه، فلابـــدّ أن يكون هناك من يكون محيطاً بعلم الكتاب، حتى يبيّن الكتاب للناس، ويكون هو المرجعية والفيصل في الاختلاف.

وما من شك أنّ المرجعية في حل الاختلاف، وفي بيان الكتاب والدين والشـــريعة للناس هو الرسول الذي أرسله الله بتلك الشريعة، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤]. ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

(٤) (النحل: ٦٤).

(٥) (النحل:٤٤).

وهذا أمر واضح لا مرية فيه، ولكنّ الكلام فيما بعد الأنبياء، هل هناك شخص أو أشخاص يمثّلون المرجعية في فهْم الدين والكتاب، وحل الاختلاف فيهما أم لا؟

بحسب العقل والمنطق والقرآن لابدّ أن يكون هناك أشخاص يمثّلون المرجعية للأمة في هذا الأمر؛ لأنّ الله تعالى لا يريد للناس أن تختلف في دينها وفي كتابها كما ذكرنا سابقاً، فلابدّ إذاً أنْ ينصّب الله تعالى أشخاصاً يكونون المرجع في بيان الكتاب والدين بصورة عامة، وترجع إليهم الأمّة في حالة اختلافها في الدين، ولابدّ من أناس يصطفيهم الله لحمل كتابه وشريعته، وهذه سنة جارية في جميع الأمم وفي جميع الكتب، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]، فالكتاب يورثه الله لمَن يصطفي من عباده، أي أنّ هناك صفوة من عباد الله يورثهم الله تعالى علم الكتاب، وهؤلاء هم الذين يعرفون الكتاب حق معرفته، وهم الذين ينبغي على الأمة أن ترد لهم علم الكتاب وكل ما تختلف فيه من أمر دينها ودنياها، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3].

المشكلة تنشأ عندما يُبغى على هؤلاء ويُنازعون منصبهم الإلهي في حفظ الشريعة، ويُصنع لهم أنداد يتجاوزون على صلاحياتهم، ويخلقون لأنفسهم مرجعيات زائفة في فهْم الدين وبيانه. وذلك البغي يتم عن علم لا عن جهل كما يفيد القرآن الكريم.

ولو أنّ الأمم سلّمت لأنبيائها وأوصيائها ورجعت إليهم في الصغير والكبير لَمَا اختلفت في دينها أبداً، لكن دائماً هناك مشكلة الأنا التي تأبى الإنصياع للآخر وإن كان نبياً أو وصياً.

مشكلة الأنا في الاختلاف الديني

من أكبر أسباب الاختلاف والانحراف في تاريخ الأمم هو ﴿الأنا﴾ الذي يأبى الانصياع والتسليم، وهنا ينبت جذر المشكلة، فالإنسان يأبى أن ينصاع حتى إلى الله تعالى، ويريد أن ينازع الله تبارك وتعالى حكمه وتشريعه، ولهذا يحاول دائماً أن يطرح رأيه أمام الشريعة الإلهية، ويريد من الشرائع الإلهية أن تسير حسب هواه ورغباته، يقول تعالى في بني إسرائيل: ﴿لَقَدْ

(١) (فاطر:٣٢)
(٢) (النساء:٨٣)
(٣) (المائدة:٤٤)

أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٤]، إنّهم يريدون أن تسير الشرائع بحسب أهوائهم، وإذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه، ولهذا سوف يحرفون الشرائع لتكون منسجمة مع ما تهوى أنفسهم.

ويقول عن مشركي قريش: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٥]، إنّهم يريدون شريعة كما يشتهون، فإذا أتت مخالفة لأهوائهم وآراءهم رفضوها وطلبوا تبديلها، وربّما تجاوزوا على أصحابها، ففريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون.

وتبرز المشكلة أكثر في التسليم للأشخاص، فالإنسان يأبى أن ينصاع إلى غيره وأن يسلّم إليه أمره حتى ولو كان نبياً فضلاً عن أن يكون وصي نبي؛ لأنّه يراه نداً له وبشراً مثله: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٦]، ومن هنا يتّم البغي بعد العلم، البغي على موقع من نصبه الله تعالى حجّةً لعباده.

إننا حينما نرجع إلى الإسلام كانموذج لذلك، نجد أنّ الله تعالى نصب بعد النبي (صلى الله عليه وآله) أوصياء له أورثهم علم الكتاب بكل تفاصيله كما يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في حديثه المعروف: ﴿ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)آية من القرآن إلّا أقرأنيها، وأملأها عليَّ، وكتبتُها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامّها، ودعى الله لي أن يعلمني فهْمها وحفْظها، فما نسيتُ آيةً من كتاب الله ولا علماً أملاه عَلَيَّ وكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله عز وجل من حلالٍ ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية، إلا علمنيه وحفظته، ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً﴾[٧].

وجعلهم الحجّة على عباده وأمر الناس بالتمسّك بهم وعدم مخالفتهم والبغي عليهم، وقد نصّ النبي (صلى الله عليه وآله) على ذلك في حديثه المشهور المعروف بين جميع المسلمين حيث قال: ﴿إنّي تاركٌ فيكم الثقلين

(٤) (المائدة:٧٠)

(٥) (يونس:١٥)

(٦) (القمر:٢٤)

(٧) الكافي، الكليني:١/٦٤.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسّكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبداً﴾.

وجعلهم كذلك أماناً من الاختلاف، كما في الحديث النبوي المشهور الآخر: ﴿النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغَرَق، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب إبليس﴾[1].

إذاً فإنّ الله تعالى قد نصّب أهل البيت (عليهم السلام) تراجمة لوحيه، وحجّةً على عباده، وعصمةً لخلْقه من الإختلاف، فما الذي حدث حتى اختلف المسلمون كلّ هذا الاختلاف؟

الذي حدث هو ما حدث في الأمم السابقة وحدّثنا عنه القرآن الكريم، إنّه البغي بعد العلم، فهؤلاء الصفوة الذين نصّبهم الله أمناءَ على دينه، وتراجمةً لوحيه، بُغي عليهم من بعد العلم، أي أنّ الأمّة لم تنصّبهم في مناصبهم التي نصّبهم الله بها، وإنّما بغت على منصبهم، وحاولت أن تجعل نفسها مكانهم، وأن توجد لهم أقراناً عُدَلاء، وتخلق لها مرجعيات بديلة عن خيرة الله تعالى، فكانت النتيجة ما كان من الاختلاف والشقاق البعيد.

وقد أشارت فاطمة الزهراء(عليها السلام) في بعض الأحاديث المروية عنها إلى ذلك حينما قالت: ﴿أمَا والله لو تركوا الحقّ على أهله، واتّبعوا عترةَ نبيّه، لمَا اختلف في الله اثنان، ولورثها سلفٌ عن سلف، وخلفٌ بعد خلف، حتى يقوم قائمنا، التاسع من وُلْد الحسين، ولكن قدّموا مَن أخّره الله، وأخّروا من قدّمه، واختاروا بشهوتهم، وعملوا بآرائهم﴾[2].

وهو ما أشار إليه أبو ذر الغفاري (رحمه الله تعالى) وهو آخذ بحلقة باب الكعبة قائلاً: ﴿ألا أيتها الأمة المتحيّرة بعد نبيّها، لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم مَن أخّر الله، وجعلتم الولاية حيث جعلها الله، لمَا عال ولي الله، ولما ضاع فرضٌ من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم من أحكام الله﴾[3].

كيفية التعامل مع الاختلاف الديني

إنّ الاختلاف الديني والمذهبي حاصل فعلاً وموجود في واقعنا ولا يمكن غضّ الطرف عنه، وسيظلّ قائماً إلى اليوم الموعود، حيث سيُظهر الدين الحقّ على الدين كلّه كما وعدنا بذلك القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4]، حيث لا تبقى مدينة ولا قرية إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله خمس مرات في اليوم

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري:٣/١٤٩.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي:٣٦/٣٥٣.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ١/٢٣١.

(٤) (التوبة:٣٣)

كما جاء في الروايات الشريفة[٥]. وسترتفع المذاهب كلّها ولا يبقى إلّا الدين الخالص كما يقول ابن عربي[٦].

لكنّ السؤال الهام هو: ماذا نفعل لتطويق هذا الخلاف، أو بالأحرى تطويق آثاره التي يمكن أن تكون آثاراً كارثية، وكيف نتعامل معه من زاوية قرآنية؟

وجواب هذا السؤال واضح في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يرى أن الأسلوب الأمثل في التعامل مع موضوعة الاختلاف الديني هو الحوار بين الأديان والمذاهب المختلفة، الحوار القائم على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧]، ويقول كذلك في آية أخرى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٨].

أسلوب الحوار العلمي الهادئ والهادف هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع الاختلاف الديني والمذهبي، وهو الحوار القائم على أساس الحجة والبرهان(الحكمة) في جوهره، وعلى أساس (الموعظة الحسنة) في أسلوبه، هو الذي يستطيع أن يطوّق الآثار الخطيرة للاختلاف الديني والمذهبي، حيث يتحول الصراع من ساحة الحرب والقتال والعنف المجتمعي إلى ساحة الفكر والرأي، ولا شكّ أنّ الصراع في كلتا الساحتين مختلف جداً في آثاره ومعطياته.

لا يمكن للعنف في أيّ وجه من الوجوه أن يحسم مسألة الاختلاف الديني، وتاريخ الصراع الديني شاهد على ذلك، فلم يستطع دينٌ أن يقضي على دين ما أو مذهب على مذهب ما بالعنف والضغط والملاحقة؛ وذلك أنّك لا تستطيع أن تُكره شخصاً ما بالتخلّي عن دينه أو مذهبه والتحول إلى دينك ومذهبك مهما مارست معه من أساليب العنف والتعذيب؛ لأنّ الإكراه قد يطال الجسم ولكنّه لا يطال العقل والقلب والروح، والذي يطال العقل والقلب هو البرهان والدليل والحوار الذي ينفتح على عقل الآخر وقلبه، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٩]، ويقول كذلك: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١٠]، فلا

(٥) منتخب الأثر، الشيخ الصافي: ٣٦١.
(٦) الفتوحات المكية، ابن عربي: ٢ / ٣٢٧.
(٧) (النحل:١٢٥)
(٨) (العنكبوت:٤٦)
(٩) (الغاشية:٢٢،٢١)
(١٠) (يونس:٩٩)

يمكن لأحد أن يكره أحداً على دين أو مذهب أو عقيدة أو رأي من الآراء التي يقتنع بها. وبالتالي فإنّ منهج العنف سوف يكون منهجاً عقيماً لا يؤدّي إلى شيء، اللّهم إلّا الدمار والخراب.

إنّ المشكلة التي يعاني منها الإنسان في تعامله مع الآخر هو أنّ آخر ما يفكر به هو الحوار وبعد استنزاف كلّ مفاعيل العنف في الساحة، ولو جعل الحوار أساسه الذي ينطلق منه ويتعامل به في كل قضاياه لمَا واجه الكثير من المشاكل التي واجهها في تاريخه الطويل.

إنّ الحوار يقرب وجهات النظر بين المختلفين، ويقصّر المسافات، ويزيل كلّ عوامل الالتباس بين الجبهات؛ لأنّ الكثير من الصراعات الدينية والمذهبية تنطلق من عدم فهم للآخر وعدم المعرفة به كما هو واضح، فالحوار المباشر يزيل هذه الالتباسات، بل وبعض الأوهام التي يحملها كل طرف تجاه الطرف الآخر.

كما أنّه يبرز المساحات المشتركة بين الأديان والمذاهب ونقاط الالتقاء التي ربّما تكون أقوى وأوسع وأمتن من نقاط الافتراق. وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم دائماً في موضوع الاختلاف الديني، أنْ نبحث عن المساحات المشتركة وخطوط الالتقاء العامة ولا نركّز على التفاصيل الجزئية هنا أو هناك، يقول تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

إنّ مشكلة الكثير من دعاة الصراع وقادته أنّهم يحدّقون دائماً في التفاصيل الجزئية ويعيشون بين ركامها، ويغفلون تلك الآفاق الرحبة التي يمكن أن تجمع بين المختلفين وتؤلّف بين المتخاصمين، ولا يعيرونها أي اهتمام يُذْكر.

وبعضهم ينظر جيداً إلى تلك المشتركات والآفاق الرحبة ولكنّهم يغضّون الطرف عنها عن عمد وقصد؛ لأنّهم يريدون للصراع أن يستمر؛ لأنّ مصالحهم الخاصة قائمة على أساس الاحتراب والاصطدام بين الأديان والمذاهب.

فما نشهده اليوم من صراع ديني ومذهبي ـ خصوصاً في منطقتنا الإسلامية ـ ليس بعيداً عن أغراض وأمراض السياسة التي تمدّه بالبقاء وتؤجّجه إن خبت ناره، مستخدمة وسائل الإعلام المختلفة التي تحولت إلى حمّالة حطب تمدّ الفتن الدينية والمذهبية بما تشاء من وقود، وتعبث بعقول ومشاعرهم الناس لتوقع بينهم العداوة والبغضاء.

---

(١) (آل عمران:٦٤)

الأدلة القرآنية على مشروعية التقية

سماحة السيد فالح الموسوي [1]

تمهيد

يُعدُّ موضوعُ التقية من المواضيع التي حوَّلها سوءُ الفهم واللجاج إلى ذريعة من ذرائع القدح بالشيعة الإمامية، مع أنَّ القرآنَ الكريم صرَّح وفي عدة مواضع بشرعيتها، ليس في الديانة الإسلامية فحسب، بل بكلّ الديانات السابقة، وقد عَمِلَ بها الصحابةُ واتَّخذوها وسيلةً وقائيةً ليحفظوا بها أنفسهم وعقيدتهم، من هنا نحن حاولنا ـ وهي محاولة متواضعة ـ بيانَ مشروعيتها على ضوء القرآن الكريم، وبالاعتماد على خصوص ما ذكره مفسّرو أهل السنّة أنفسهم. وقد رتبنا هذه المقالة المختصرة على خمسة مباحث، تكفل الأول منها ببيانَ المعنى اللغوي والاصطلاحي للتقية؛ لإيجاد صيغة مشتركة بين المذاهب في تعريف التقية، ثمّ شرعنا بسرد بعض الآيات الدالة على مشروعيتها في الديانات السابقة، وذلك في المبحث الثاني، وأمّا المبحث الثالث فقد بيَّنا فيه بعض الآيات الدالة على مشروعيتها في الإسلام، ثمّ ختمنا الدراسة بخاتمة عرضنا فيها ما توصّلنا إليه من خلال هذا الاستعراض المختصر، واليك تفصيل الكلام.

معنى التقية في اللغة والاصطلاح

قبل الدخول في صُلب البحث لابدّ من تحديد معنى التقية وإعطاء ضابطة لها، ليدورَ

(١) أستاذ وخطيب وباحث إسلامي، وله كتابات متعددة.

البحثُ بعـــد ذلك حولَ هذا المفهوم الذي تمَّ تحديده.

فتكاد تتفق كلمـــاتُ اللغويين حول المعنى اللغـــوي للتقية، ولا تخرجُ عـــن كونها بمعنى الحيطةِ والحذرِ والاحتراسِ من الضررِ بصورة عامة، والتقية والتقاة واحد، يُقال: اتقى تقيةً وتقـــاءً، والتقي المتقي... ووقـــاه الله وقاية بالكسر: حفظه[1].

أمّا في الاصطلاح: إنَّ مصادرَ المســـلمينَ من الفـــرَقِ والمذاهبِ الإســـلاميةِ المختلفة حافلةٌ ببيانٍ جلـــي وواضحٍ لمعنى التقية، فلا وجودَ لخلافٍ معتبرٍ بينهـــم في معناها، نعم يوجـــدُ في بعضِ كلماتهم اختـــلافٌ في حدودِ التقية وشـــرائطها، فقد أعطـــى بعضُهم ـ كالشـــيخ المفيد ـ ضابطةً تكون مانعةً لدخولِ الأغيار جامعةً للأفراد، بينما اكتفى بعضٌ آخر ـ كابن حجر العسقلاني ـ ببيانها بما يُميزُها عن غيرها من المفاهيم التي تبدو لأول وهلة قريبةً منها كالنّفاق والتَّورية، وقد يُمكننا القول بأنّها تتفقُ على أنَّ التقيةَ: وســـيلةٌ من وسائلِ الحفاظِ على النفسِ أو المالِ أو العرضِ، ودرأ الخطـــرِ عنها، وذلك بإظهارِ خلافِ ما يعتقدُ به المتقي مـــن عقيـــدةٍ أو رأيٍ، وعليه فَمَن تظاهر بعقيدةٍ باطلةٍ أو رأيٍ فاسدٍ عند الظالمِ المعتقِدِ لها خوفاً منه فقد اتَّقى، ســـواء كان الخوفُ على النفسِ أو العِرضِ أو المالِ، وسواء كان الخوفُ من الفردِ أو المجتمع، وسواء كان من المسلم أو الكافر.

غـــير أنَّ هذا المفهوم الواضح الذي اتَّفق العلمـــاءُ على تحديده، ومـــن ثمَّ الاتفاق على مشروعيته وثبوته في أصل الدين ـ كما سوف يأتي ـ أصبح ممّا يُشَنَّع به على الشيعة الإمامية، الذين مرّوا بظروفٍ لا يعرفُ لها التاريخُ مثيلاً في القســـوة والاضطهاد، حتى كان سفكُ الدم الشيعي واستباحةُ عرضه وانتهابُ ماله ألذَّ من الماءِ الباردِ في اليومِ الصائفِ، فاضطرَّتهم تلك الظروف القاسية إلى استخدام التقية واللجوء إليها، والاحتماء تحت مظلّتها؛ حَقناً لدمائهم، وصَوناً لأعراضهم وأموالهم، فاتُّهِمُوا بالنفاق تارةً، وبالخداع والدَّجـــل أخرى، والغريب في الأمر أنَّ الذين عابُوا على أتباعِ مدرســـة أهل البيت (عليهم السلام) انتهاجَ التقية ـ ولو في فترةٍ محدودة ـ يقولون بنفسها لمقالة الشيعة، ويعتقدون التقيةَ التي اتّخذوها وسيلةً للتشهير بهم، وتفاسيرُهم طافحةٌ بالشواهد على ذلك، ونحن بهذه العُجالة سوف نقتصرُ على إثباتِ مشـــروعيتها في القرآن الكريم، معتمدين على أراء مشاهير علماء السنّة في المقام.

(١) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر: ص٣٧٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى/ ١٤١٥ق.

الفرق بين النفاق والتقية

بعد أنْ اتضحت حقيقة التقية، يجدر بنا أنْ نبيِّنَ الفرقَ بينها وبين النفاق؛ لأنَّ بعضَ مَن لا حظَّ له من العلم لمّا رأى أنَّ التقيةَ سكوتٌ عن الحق، ادَّعى أنَّها شعبةٌ من النفاق، وبما أنَّ السبب في ذلك هو الالتباس الحاصل من الخلط بين المفهومين، حاولنا بيان حقيقة النفاق ليرتفع الالتباس.

فقد قال ابن منظور في لسان العرب، والزبيدي في تاج العروس، ولفظهما واحد: «النفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع إسلامية، وقد نافق منافقةً ونفاقاً، وقد تكرَّر في الحديث ذكرُ النفاق وما تصرّف منه اسماً وفعلاً، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإنْ كان أصله في اللغة معروفاً»[1].

وفي الاصطلاح: قال العيني في شرح صحيح البخاري، بعد أنْ ذكر ما أوردناه من المعنى اللغوي: «وفي الاصطلاح: هو الذي

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج١٠، ص٣٥٩، قم، أدب الحوزة، ط الأولى/ ١٤٠٥ق؛ تاج العروس، الزبيدي: ج١٣، ص٤٦٣، بيروت، مكتبة صالحياء.

يظهر الإسلام ويبطن الكفر»[١]، وهو عين ما ذكره المناوي في فيض القدير[٢].

وقال النووي في المجموع: «المنافق الذي يظهر الإيمان ويستر الكفر»[٣]، ومثله ابن العربي في أحكام القرآن[٤]، وقال الجصاص: «النفاق اسم شرعي جُعِلَ سمةً لِمَن يُظهر الإيمانَ ويسر الكفر»[٥]. فالنفاق إذاً يُطلق على الكافر الذي ستر كفره وتصنَّع الإسلام وتظاهر به.

إلى هنا أصبح الفرق الجوهري بين المفهومين واضحاً، وأنَّ بينهما تبايناً تامّاً، لا يصدقان على موضوع، ولا يلتقيان في مورد، فالتقية كتمان الحق وإظهار خلافه، بينما النفاق كتمان الكفر وإظهار الإيمان، وعليه فيمكن القول بأنَّ: المتقي مسلم قطعاً، والمنافق كافر أو مشرك، وإنَّ قلبَ المتقي مطمئنٌ بالإيمان، وأمّا المنافق فليس في قلبه من الإيمان شيءٌ، نعم هو يتظاهر بالإسلام.

وبهذا يتبين أنَّ مفهومَ التقية يختلفُ تماماً عن مفهومِ النفاق، وأنْ لا إلتقاء بينهما أبداً.

الآيات الدالة على مشروعيتها في الديانات السابقة

قد يتصورُ القارئ بأنَّ مسألةَ التقية لم تُطرحْ في الشرائعِ المتقدِّمةِ على الشريعةِ الإسلامية، وأنَّها مِن المسائل التي لم تعرفْها المجتمعاتُ الغابرةُ، ولذا حدث النزاعُ والجدلُ بشأنها، وكثُر الكلامُ واللَّغطُ حولها، ولكنَّ الحقَ أنَّ القرآن الكريم طافحٌ بالآيات القرآنية التي تؤكِّدُ ـ وبكل صراحةٍ ـ على مشروعيةِ التقية في الدياناتِ السالفةِ، والرسالاتِ الماضيةِ (٦)، ونحن نكتفي باستعراضِ موردين:

المورد الأول: تقية أصحاب الكهف

قال تعالى حول تقية أصحاب الكهف: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، العيني: ج١، ص٢١٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٢، ص٤٨٨، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى/ ١٤١٥ق.

(٣) المجموع، محيي الدين النووي: ج١٩، ص٣٤١، بيروت، دار الفكر.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي: ج٢، ص٣٨٩.

(٥) أحكام القرآن، الجصاص: ج١، ص٢٩، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى/ ١٤١٥ق.

(٦) تؤكد الآيات والروايات على مشروعية التقية من لدن شيث بن آدم (عليهما السلام) الذي هو أول من اتخذها شعاراً ومنهاجاً في أداء مسؤولياته الدينية، ثمّ جرت عليها سيرة الأنبياء (عليهم السلام)، كما فعلها بطل التوحيد إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وهكذا إلى الرسالة الخاتمة، ـ نعم لابدّ من القول بأنّنا لم نعثر على نص يدل على استخدام عيسى (عليه السلام) للتقية ـ وعلى كل حالٍ فمن أراد المزيد فعليه بمراجعة ما كُتبَ في تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) وقصصهم ورسالاتهم، فالأمرُ واضح، ولم نذكره لخروجه عن موضوع بحثنا.

مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ [1].

إنَّ الحقبةَ الزمنيةَ التي عاشها أصحابُ الكهفِ قبل لجوئهم إلى الغار لم تكن قليلةً، بل استغرقت زمناً طويلاً، في كل تلك الفترة كانوا يُخفونَ إيمانَهم، ويتظاهرون بالاعتقاد بعقائدِ الوثنيين، وأنَّهم على دينِ دقيانوس وأتباعه، وهذا ممَّا لا يُنكره أحدٌ من أهل العلم. قال الطبري في تفسيره: «كان أصحابُ الكهفِ فتياناً ملوكاً مطوَّقين مسوَّرين ذوي ذوائب... أخفى كلُّ واحدٍ منهم الإيمانَ عن صاحبه... فخرجَ شابٌّ منهم حتى انتهى إلى ظلِّ شجرة، فجلس فيه، ثمَّ خرج آخرٌ فرآه جالساً وحده، فرجا أنْ يكونَ على مثلِ أمره من غير أنْ يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثمَّ خرج الآخرون، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، فاجتمعوا، فقال بعضُهم: ما جمعكم؟ وكلٌّ يكتمُ إيمانَه من صاحبه مخافةً على نفسه، ثمَّ قالوا: ليخرج منكم فتيان، فيخلوا، فيتواثقا أنْ لا يفشي واحدٌ منهما على صاحبه، ثمَّ يفشي كلُّ واحد منهما لصاحبه أمره، فإنَّا نرجوا أنْ نكونَ على أمرٍ واحدٍ. فخرج فتيان منهم فتواثقا، ثمَّ تكلَّما، فذكر كلُّ واحدٍ منهما أمرَهُ لصاحبه، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما قد اتَّفقا على أمرٍ واحدٍ، فإذا هم جميعاً على الإيمان» [2].

وقد ذكر القرآن الكريم تقيَّتهم من غير أنْ يستنكر عليهم ذلك، ثمَّ عاد ليذكر لنا تقيَّتهم مرةً أخرى عندما بعثوا بأحدهم إلى السوق، وأمروه أنْ يتلطَّف ويتظاهر بما عليه الأغلبيةُ الوثنيةُ من الشِّرك وعبادة الأوثان؛ لئلا يشعر به أحدٌ، الأمر الذي قد يُكلِّفه نفسَه وجماعته، فشدَّدوا عليه بضرورة الاتقاء، وهذا ما ذكره القرآن الكريم على نحو الإطراء لا الاستنكار، وهو عينُ ما فهمه المفسرون من الفرق الإسلامية المختلفة، قال الزمخشري في تفسير الآية: «﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلَّف اللطف... في أمر التَّخفي حتى لا يُعرف، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾، يعني: ولا يفعلنَّ ما يؤدي ـ من غير قصدٍ منه ـ إلى الشُّعور بنا، فسمَّى ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنَّه سببٌ فيه» [3]. وقوله صريحٌ في أنَّ أصحابَ الكهف أمروا صاحبَهم بالتَّظاهرِ بما عليه الأغلبيةُ الوثنيةُ ـ حسب ظنّهم ـ وهم دقيانوس وأتباعُهُ الظاهرون عليهم بالقوة والسلطان. وقد سبقه مقاتل باستفادة هذا المعنى من الآية،

---

(1) الكهف: 19.

(2) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج15، ص256 بيروت، دار الفكر، 1415ق. تفسير الثعلبي، الثعلبي: ج6، ص150، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى/ 1422ق.

(3) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري: ج2، ص477، مصر، شركة مصطفى البابي وأولاده، 1385ق.

فإنَّه قال في تفسيره: «﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، يعني «وليترفَّق حتى لا يُفطن له»[1]. أي يستعمل الرِّفقَ حتى لا يُعرف فيعرِّض نفسه وأصحابه للقتل، وهذا هو معنى التقية.

وقال أبو الليث السمرقندي الحنفي: «أي وليرفق في السؤال ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾، أي لا يُعلِمَنَّ بمكانكم أحداً من الناس»[2]. وذلك بالتظاهر بكلّ ما عليه الوثنيون آنذاك، والاجتناب عن ما من شأنه أنْ يكونَ من علامات الإيمان التي تؤدي إلى انكشاف أمرهم.

وهو عين ما ذهب إليه أبو البركات النسفي الحنفي، فقد قال: «﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ ولا يفعلنَّ ما يؤدي إلى الشعور بنا. والسبب في كلّ تلك التقية والحذر هو الخوفُ على النفس والدين؛ لأنَّهم ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يطَّلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم أخبثَ قتلة ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه»[3].

وقال الشوكاني: «﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي يدقّق النظر حتى لا يُعرف أو لا يُفبن، والأول أولى، ويؤيّده ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ أي لا يفعلنَّ ما يؤدّي إلى الشعور ويتسبب له، فهذا النهي يتضمَّنُ التأكيدَ للأمرِ بالتَّلطُّف. ثمّ علل ما سبق من الأمر والنهي»[4].

خلاصة بحث الآية:

إنَّ كل مَن تعرَّض لبيان مضامين هذه الآية من المفسرين أكَّد على أنَّ المراد من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي أنْ يكون خروجُهُ وتعاملُهُ على نحو السِّرية والكتمان، ولا يُظهر ما في قلبه من العقيدة المخالفة لاعتقاد أصحاب الغلبة والقوة، من الذين لا يؤمَن شرُّهم، ولا تُحتَمَل سطوتُهُم، وهذا أمرٌ أكَّدته الروايات من الفريقين، وهذه هي التقية لا غير، وعليه فتقيَّةُ أصحاب الكهف ممَّا لا سبيلَ لإنكارها.

وقد ورد عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ما يؤيدُ ذلك، ففي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال: «ما بلغت تقيةُ أحد تقيةَ أصحاب الكهف، إنَّ كانوا ليشهدون الأعياد، ويشدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين»[5]؛ لأنَّهم كانوا من المقرَّبين من الملك بل من مستشاريه.

المورد الثاني: تقية مؤمن آل فرعون

قال تعالى حول تقية مؤمنِ آلِ فرعون:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان: ج٢، ص٢٨٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى/ ٢٠٠٣م.

(٢) تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي: ج٢، ص٣٤٢، بيروت، دار الفكر.

(٣) النسفي، تفسير النسفي: ج٣، ص٨.

(٤) فتح القدير، الشوكاني: ج٣، ص٢٧٦، بيروت، عالم الكتب.

(٥) الكافي، الكليني: ج٢، ص٢١٨؛ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٦، ص٢١٩. والزنانير: جمع زنار، وهو ما يشدُّه المجوسي والنصراني على وسطه، شعاراً لهم يُعرفون به. انظر: (لسان العرب، ابن منظور: ج٤، ص٣٣٠).

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (١).

أكَّدت الرواياتُ من الفريقين على أنَّ الذي أشارَ على فرعونَ وملئه بالانصراف عن فكرة قتلِ موسى (عليه السلام) كان مؤمناً موحِّداً وكان على التقية، يكتمُ إيمانَه فلا يعلم به أحدٌ منهم؛ ولذا أصغى فرعونَ لكلامه، وأخذ برأيه، وتوقَّف عن قتلِ موسى (عليه السلام) استجابةً لطلبه ومشورته، وهذا ممَّا اتفقتْ عليه كلماتُ المفسرين وأهلِ العلم من المذاهب الإسلامية المختلفة.

قال ابن الجوزي الحنبلي في زاد المسير: «والأكثرون على أنَّه آمن بموسى لمَّا جاء. وقال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى. وكذلك امرأة فرعون، قال مقاتل: كتمَ إيمانَهُ من فرعون مائةَ سنة» (٢). أي كتم إيمانَهُ ولم يكن يشعر به أحدٌ منهم؛ لأنَّه كان يجاريهم في الظاهر، ويقوم بطقوسهم الدينية في العلن ليصرف الأنظارَ عنه، وإنْ كان مؤمناً موحِّداً في السّر، من غير أنْ يقدحَ ذلك بصحَّة إيمانه وسلامة عقيدته.

ومثله كلام السمعاني في تفسيره، فإنَّه قال: «معناه: وقال رجلٌ يكتمُ إيمانَه من آل فرعون... وفي التفسير: أنَّه لم يؤمن من القبط إلّا ثلاثة نفر: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، والذي جاء فقال: يا موسى، إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك» (٣). وفيه ـ بالإضافة إلى إثبات تقية مؤمن آل فرعون ـ إثباتٌ وإقرارٌ بثبوت التقية للذي جاء فقال: يا موسى.... ولامرأة فرعون أيضاً، كما هو واضح، وإنْ كان القرطبي يرى أنَّ الذي قال ذلك هو مؤمنُ آل فرعون نفسه لا شخص آخر غيره. وعلى كل حالٍ فتقيَّةُ مؤمن آل فرعون أمرٌ ظاهرٌ من الكلمات، ولا يحتاجُ إلى إثبات.

وقال ابن جرير الطبري: «اختلف أهلُ العلم في هذا الرجلِ المؤمن، فقال بعضُهم: كان من قوم فرعون، غير أنَّه كان قد آمن بموسى، وكان يستر إيمانَه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه». ثم شرع في ذكر الأقوال فيه، فقال: «... قال آخرون: بل كان الرجلُ إسرائيلياً، ولكنَّه كان يكتمُ إيمانَه من آلِ فرعون» (٤). وعليه فهل لكتمان الإيمان والتظاهرِ بالوثنية معنىً غير التقية التي يقولُ

(١) غافر: ٢٨.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي: ج٧، ص٤١، بيروت، دار الفكر، ط الثانية/ ١٤٠٧ق.

(٣) تفسير السمعاني، السمعاني: ج٥، ص١٦، الرياض، دار الوطن، ط الأولى/ ١٤١٨ق.

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج٢٤، ص٧٤.

بها الشيعة الإمامية؟

وممّن أكّد على تقيته أبو الليث السمرقندي الحنفي، قال: «وهو حزبيلُ بنُ ميخائيل، هو ابنُ عمّ قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمُّهُ من بني إسرائيل، ويُقال: كان ابن عمّ فرعون «يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» وكان قد أسلم سرّاً من فرعون»[1]. فهو قد أسرَّ الإيمانَ وكتمَ الحقَّ عن فرعون وملئه، وتظاهرَ بما كان عليه الفراعنةُ من الشّرك والوثنية، أيجوزُ لمؤمنِ آل فرعون أنْ يكتمَ الحقَّ ويتظاهرَ بالباطل حفاظاً على نفسه ودينه، ولا يجوزُ لغيره؟ اللّهم إلّا أن يُدَّعى أنَّ القرآن ذكره في معرض القدح والذم، وذلك ممّن لم يقل به أحدٌ من علماء المذاهب قاطبةً.

وفصَّل القرطبي الكلامَ في الآية، فقال بعد إيرادها: «فيه أربع مسائل: الأولى:... اختلف هل كان إسرائيلياً أو قبطياً، فقال الحسن وغيره: كان قبطياً. ويُقال: إنَّه كان ابن عمّ فرعون...وقيل: كان هذا الرجل من بني إسرائيل يكتمُ إيمانَه من آل فرعون... الثالثة: قوله تعالى: «يَكْتُمُ إِيمَانَهُ». قال القاضي أبو بكر بن العربي: «ظنَّ بعضُهم أنَّ المكلفَ إذا كتمَ إيمانَه ولم يتلفَّظ به بلسانه لا يكون مؤمناً باعتقاده»[2]. وكلامه واضح، وكلام ابن العربي فيه إنكارٌ ضمني على مَن لا يَرى صحةَ التقية، وجوازَ كتمِ الإيمان وعدم التلفّظ به باللسان.

ولعلّ كلامَ ابن العربي ناظرٌ لِمَا أجابَ عنه الإمامُ الباقر (عليه السلام)، فقد ورد من طريق أهل البيت (عليهم السلام)، عن جابر قال: قلتُ لأبي جعفر (عليه السلام): إنَّ فقهاء الكوفيين يقولون: إنَّه إذا كان يومُ القيامة جيء بعبدٍ مُلْجَم بلجام من نار، فيقول الله (عز وجل): يا عبدي، ما حملك على أنْ كتمتَ علماً علَّمتُك، فيقول: يا ربِّ خفتُ عبادَك، فيقول: أنا كنتَ أحقَّ أنْ تخافَني، فيؤمَر به إلى النار. فقال أبو جعفر (عليه السلام): «كذب والله فقهاءُ الكوفيين، أمَا والله لو كان ذلك حقّاً ما أثنى الله على مؤمنِ آل فرعون في الكتاب، وقد كتمَ إيمانَه... وهو خازنُ فرعون»[3].

خلاصة وتذييل

لاشك في دلالة الآية على التقية التي يقولُ بها الشيعةُ أعلى الله كلمتهم، كما لاشكَ في ثناء الله (عز وجل) على مؤمنِ آل فرعون، ولذلك أثنى عليه النبي (صلى الله عليه وآله) وعدَّه

(1) تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي: ج٣، ص١٩٥.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج١٥، ص٣٠٨، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٠٥ق.

(3) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ص٢٤٧، قم، دار الحديث، ط الأولى/ ١٤١٨ق.

من الصدِّيقين، إذ روي عنه أنَّه قال ـ كما في تفسير الفخر الرازي، وغيره ـ: «الصدِّيقونَ ثلاثةٌ: حبيبُ النَّجار مؤمنُ آل ياسين، ومؤمنُ آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ والثالثُ: عليُّ بنُ أبي طالب، وهو أفضلُهم»[1]، وهو غايةُ المدح والثناء، وهذا لا ينسجمُ مع القولِ بذمِّ التقية وعدم مشروعيتها لو قيل به، فيثبت أنَّها مشروعةٌ، بل وممدوحةٌ بمحكم القرآنِ والسنّةِ النبويّةِ المطهَّرة.

الآيات الدالة على مشروعية التقية في الإسلام

سبق وأنْ أثبتنا مشروعيةَ التقية في الديانات السابقة من القرآن الكريم، وهنا نورد بعضَ الآيات القرآنية التي نصَّتْ على مشروعية التقية في الإسلام، لنصلَ إلى جواز إظهار كلمة الكفر عند الخوف والحرج، ما دام الإيمانُ مستقراً في الجنان، وثابتاً في القلب، وليس هذا الرأي ممَّا تنفردُ به الشيعةُ الإماميةُ، بل يذهبُ جميعُ المسلمينَ في الجملة إلى جوازِ التقية من المشركين.

أولاً: تقية عمار بن ياسر

قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وقد نصَّتْ على جوازِ إظهارِ الكفرِ باللسانِ وإبطانِ الإيمانِ تقيةً، فيكون إظهارُ ما دون الكفرِ ـ الذي هو أكبرُ الكبائر ـ جائزاً بدليل الأولوية، وهذا ما حكمَ به علماءُ المذاهبِ الإسلامية المختلفة، مستندينَ إلى هذه الآيةِ المباركةِ وإلى نظائرِها، قال محمدُ بنُ إدريس الشافعي، بعد إيراد الآية: «فلو أنَّ رجلاً أسَّره العدو فأكره على الكفر لم تبن منه امرأتُه، ولم يُحكمْ عليه بشيءٍ من حكم المرتد، قد أكره بعضُ من أسلم في عهدِ النبي (صلى الله عليه وآله) على الكفر، فقاله، ثم جاءَ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فذكر له ما عُذِّب به، فنزلت هذه الآية، ولم يأمره النبي (صلى الله عليه وآله) باجتناب زوجته ولا بشيءٍ ممَّا على المرتد»[3].

وقال أيضاً: «وأبان اللهُ عزَّ وجلَّ لخلقه أنَّه تولّى الحكم فيما أثابهم وعاقبهم عليه على ما علم من سرائرهم، وافقتْ سرائرُهم علانيَتَهم أو خالفَتْها، فإنَّما جزاهم بالسرائر، فأحبطَ عملَ كلِّ مَن كفرَ به، ثمَّ قال تبارك وتعالى فيمن فُتِنَ عن دينه: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ

(١) تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج٢٧، ص٥٧، ط الثالثة، بدون تاريخ.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي: ج١، ص٢٩٨، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠ق.

وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ فطرحَ عنهم حبوطَ أعمالهم والمآثم بالكفـر إذا كانوا مُكرَهين وقلوبُهُـم على الطمأنينـة بالإيمان وخلاف الكفـر»[1]. وكلامُـهُ في التقية خـيرُ دليل؛ لاشـتماله على الدقَّة والتفصيل، فإنَّما يُحكمُ على المسـلم بالارتداد إذا ارتـدَّ عن قصد واختيـار، وأمَّا إذا كان ارتدادُهُ تقيةً ليأمنَ به على نفسـه وعرضه، فلا يلحقه حكمُ المرتد، شـريطةَ أنْ يكون القلبُ عامراً بالإيمان، وإنَّ الذي نطقَ به من الكفـر لا يعدو كونه لقلقة لسان، ولا أثرَ له في القلب.

وأورد عبـد الرازق الصنعاني عقيب الآية بعضَ الروايات المؤيدة لمشروعية التقية، منها ما عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَـنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾، قال: «أخذَ المشـركونَ عمارَ بنَ ياسر فعذَّبوه حتى قارَبَهم في بعض ما أرادوا، فشـكا ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : كيفَ تجدُ قلبَك؟ قـال: مطمئناً بالإيمان. ثمّ قال النبي (صلى الله عليه وآله) : «فإنْ عادوا فَعُدْ»[2]. ويمكن أنْ يستفادَ من الرواية ـ بالإضافة إلى إقرار النبي (صلى الله عليه وآله) لاسـتعمال التقية ـ شرعيةُ ممارسـة التقية في كلّ وقت دعتْ إليه الحاجةُ والضـرورةُ، مادامتْ العلةُ التي شُرِّعتْ من أجلها موجودةً.

وأخرج ابنُ جرير الطبري عن ابن عباس في تفسير الآية، أنَّه قال: ﴿مَنْ حُمِلَ على أمرٍ يتكلمُ به وهو معصيـةٌ لله، فيتكلم به مخافةَ الناس وقلبُهُ مطمئـنٌّ بالإيمان، فإنَّ ذلك لا يضُرُّهُ﴾[3]. وهو في غاية الصراحة في الدلالة علـى المدَّعى، ثمّ أورد قـولَ الضَّحاك حولَ الآية، فقـال: ﴿... مَنْ حُمِلَ على أمرٍ يَتكلمُ به وهو لله معصيةٌ، فتكلَّم مخافةً على نفسه، وقلبُهُ مطمئنٌّ بالإيمان، فلا إثمَ عليه﴾[4].

ثمّ أيَّد كلامهما بما ورد عن قتادة، أنَّه «قال: ذُكر لنا أنَّها نزلت في عمار بن ياسـر، أخذه بنو المغيرة فغطَّوه في بئر ميمون، وقالوا: أكفرْ بمحمد، فتابعهم على ذلك، وقلبُهُ كاره، فأنزل لله تعالى ذكره: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَـرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾ أي مَنْ أتى الكفرَ على اختيارٍ واستحباب، فعليهم غضبٌ من الله، ولهم عذابٌ عظيم»[5].

ونقل عن ابن عباس إضافةً لما تقدَّم مَن قوله، أنَّه قال: «أخبرَ الله سـبحانه: إنَّه مَن كفـر من بعد إيمانه فعليه غضبٌ من الله وله

(١) أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي: ج١، ص٢٩٩.

(٢) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني: ج٢، ص٣٦٠، الرياض، مكتبة الرشد، ط الأولى/ ١٩٨٩م؛ جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٤، ص٢٣٧.

(٣) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج٣، ص٣١١.

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج٣، ص٣١٠.

(٥) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٤، ص٢٣٧.

عذابٌ عظيمٌ. فأمَّا من أُكره فتكلَّم به لسانُهُ وخالفه قلبُهُ بالإيمان لينجو بذلك من عدوه، فلا حرجَ عليه؛ لأنَّ الله سبحانه إنَّما يأخذُ العبادَ بما عقدتْ عليه قلوبُهُم»[1]. وليس في كلامه ما يستدعي التعقيب؛ لوضوحه وصراحته في الدلالة على المُدَّعى، أعني ثبوتَ حكم التقية ومشروعيتها، ودلالة الآية على ذلك.

وممَّن استفادَ من هذه الآية مشروعيةَ التقية ـ مؤكّداً على أنَّها رخصةُ الرب، ومنحةُ الجليل، وأنَّها بابٌ من أبوبِ رحمة الله التي خصَّ بها عبادَه المستضعفين ـ العلامةُ الجصاصُ، حيث قال في تفسيرها: «وإعطاءُ التقية في مثل ذلك إنَّما هو رخصةٌ من الله تعالى وليس بواجب، بل تركُ التقية أفضل، قال أصحابُنا فيمَن أكره على الكفر فلم يفعل حتى قُتل: إنَّه أفضلُ ممَّن أظهر. وقد أخذَ المشركونَ خبيبَ بنَ عدي فلم يُعط التقيةَ حتى قُتل، فكان عندَ المسلمينَ أفضل من عمارِ بنِ ياسر حين أعطى التقية وأظهرَ الكفر. فسأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك فقال: «كيف وجدتَ قلبَك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. فقال (صلى الله عليه وآله) : «وإنْ عادُوا فَعُد!». وكان ذلك على وجه الترخيص»[2].

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٤، ص٢٣٨.

(٢) الجصاص، أحكام القرآن: ج٢، ص١٢– ١٣.

ثانياً: موالاة الكافرين تقية

قال تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾[3]. الدالة على جواز موالاة الكافرين بدافع التقية.

ولعلَّ هذه الآية المباركة أوضح آية في المقام، سيَّما وأنَّ القارئ الكريم قد عرف فيما مضى أنَّه لا فرق بين التقية والتقاة. كما صرَّح بذلك محمد عبد القادر في مختار الصحاح، ولذا كان الكثير من الأكابر من علماء الفن وذوي الاختصاص يقرءونها: (تَقِيَّةً) كما صرَّح به أبو زرعة، والزجاج، والزمخشري، والفخر الرازي، والسمعاني، والقرطبي، والشوكاني،

(٣) آل عمران: ٢٨.

وغيرهم[1]. ومع ذلك فنحن نعرضُ جملةً من أقوالهم حول الآية ليتبين الحق.

قال مقاتل بن سليمان في سبب نزول الآية: إنَّها «نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودَّةَ لكفارِ مكة، فنهاهم الله (عز وجل) عن ذلك، «وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ»، فيتخذونهم أولياءً من غير قهر، «فَلَيْسَ مِنَ اللّه في شَيْءٍ»، ثمَّ استثنى تعالى، فقال: «إلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً»، فيكون بين أظهرهم فيرضيهم بلسانه من المخافة، وفي قلبه غيرُ ذلك»[2]. فالمذمومُ بنصّ القرآنِ إذاً هو موالاتُهم من غيرِ قهرٍ وخوف، وأمَّا مع القهرِ والخوفِ الشديد، فلا بأس به، شريطةَ أن يكون القلبُ مطمئناً بالإيمان، وهذا ثابتٌ من الاستثناءِ في الآية الكريمة، ولا يحتاج إلى دليل.

وقال ابن جرير الطبري: «ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيُّها المؤمنون الكفارَ ظهراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم، وتُظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم، فإنَّه مَن يفعل ذلك فليسَ من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئَ من الله، وبرئَ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر» وهذا الحكمُ لا يختلف فيه اثنان، ثمَّ ذكر حكمَ الموالاة لهم تقيَّةً، فقال: «إلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً»، إلا أنْ تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولايةَ بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل». وهذا تصريحٌ بجوازِ إظهار الولاية للكفار، مع إضمار البراءة والعداوة في القلب، ثمَّ استشهد له بما رُوي عن ابن عباس في تفسير الآية، وهو صريحٌ في دلالته على المدَّعى، فقال: «نهى اللهُ سبحانَه المؤمنينَ أنْ يُلاطفوا الكفارَ، أو يتَّخذوهم وليجةً من دون المؤمنين، إلَّا أنْ يكونَ الكفارُ عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللُّطفَ، ويخالفونهم في الدين. وذلك قوله: «إلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً»»[3].

وأورد ما روي عن عكرمة والذي يفيد تقييد التقية بما لم يؤدِّي إلى إهراقِ الدم واستحلالِ المال، وهو عينُ ما يذهب إليه الإمامية، فقد أجمعتْ كلمتُهم على عدم جوازِ التقية في هذا المورد، فإنَّه لا تقيةَ في الدماء[4]. وكتبُهم طافحةٌ بالأخبارِ عن الأئمة (عليهم

(١) حجة القراءات، أبو زرعة: ص١٦٠، تفسير السمعاني، السمعاني: ج١، ص ٣٠٩، معاني القرآن، الزجاج: ج١، ص٢٠٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج٤، ص٥٧، الفخر الرازي، تفسير الرازي: ج٨، ص١٢، الزمخشري، الكشاف: ج١، ص٤٢٣، البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي: ج٢، ص٤٢٤، الشوكاني، فتح القدير: ج١، ص٣٠٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان: ج١، ص١٦٤.

(٣) جامع البيان، إبن جرير الطبري: ج٣، ص٣٠٩.

(٤) انظر: المقنعة، الشيخ المفيد: ص٨١١، رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ج٢، ص٩٤، شرائع الإسلام، المحقق الحلي: ج١، ص٢٦٠، كشف اللثام، الفاضل الهندي: ج١٠، ص١٤.

السلام) في ذلك.

واقتصر ابنُ أبي حاتم الرازي على إيراد بعض الروايات التي قَيَّدتْ التقيةَ بالقول، وقد أوردنا بعضَها عند بيان كلام الطبري كرواية عكرمة، «في قوله: «إلاَّ أن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً»، قال: ما لم يهرقْ دمَ مسلم، وما لم يستحلْ ماله»[1].

وأمّا الجصاص فالذي يبدو من كلامه أنَّه أكثر تفصيلاً وصراحة في الدلالة على المطلوب، حيث قال: «يعني أنْ تخافوا تلفَ النفس وبعضَ الأعضاء فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاد لها. وهذا هو ظاهرُ ما يقتضيه اللفظُ وعليه الجمهورُ من أهل العلم»، ثمّ استظهر من الآيات بعد إيرادها وتفسيرها، قائلاً: «وقد اقتضت الآيةُ جوازَ إظهار الكفر عندَ التقية، وهو نظيرُ قوله تعالى: «مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ». وإعطاءُ التقية في مثل ذلك إنَّما هو رخصةٌ من الله تعالى وليس بواجب»[2]. وبالإضافة إلى تصريحه بجواز التقية، صرَّح بجوازها عند الخوف على تلف بعض الأعضاء، فضلاً عن النفس.

واستظهر السمعاني من الآية جوازَ التقية، مع ترجيح كفَّة الصبر عليها ولو أدَّى إلى القتل، فقال: «إلاَّ أن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً... »... وقرئ: تقيةً، ومعناهما واحد، يعني: إلاّ أنْ يقعَ في أيديهم، فيخافهم، فيوافقهم باللسان وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، فلا بأس به، ولكن لو صبرَ حتى قُتِلَ، فله من الأجر العظيم، ما الله به عليم»[3]. وهذا ممَّا لا إشكال فيه عندَ الشيعة الإمامية.

وفصَّل الفخرُ الرازي الكلامَ في بيان التقية وأحكامها، قائلاً: «المسألةُ الرابعةُ: اعلم أنَّ للتقية أحكاماً كثيرةً ونحن نذكرُ بعضَها... الحكمُ الرابعُ: ظاهرُ الآية يدل أنَّ التقيةَ إنَّما تحلُّ مع الكفار الغالبين، إلَّا أنَّ مذهب الشافعي رضي الله عنه: إنَّ الحالةَ بين المسلمين إذا شاكلتْ الحالةَ بين المسلمين والمشركين حلَّتْ التقيةُ محاماة على النفس. الحكمُ الخامسُ: التقيةُ جائزةٌ لصون النفس، وهل هي جائزةٌ لصون المال؟ يُحتمل أنْ يُحكم فيها بالجواز؛ لقوله (صلى الله عليه وآله) : «حرمةُ مالِ المسلم كحرمة دمه»، ولقوله (صلى الله عليه وآله) : «من قُتِلَ دونَ ماله فهو شهيد»؛ ولأنَّ الحاجةَ إلى المال شديدةٌ، والماءُ إذا بيعَ بالغبن سقطَ فرضُ الوضوء، وجاز الاقتصارُ على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوزُ ههنا؟! والله أعلم.

مسالك الإفهام، الشهيد الثاني: ج٣، ص١٠٧.

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي: ج٢، ص٦٢٩، صيدا، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص: ج٢، ص١٢.

(٣) تفسير السمعاني، السمعاني: ج١، ص ٣٠٩.

الحكمُ السادسُ: قال مجاهد: هذا الحكمُ كان ثابتاً في أولِّ الإســـلام لأجلِ ضَعفِ المؤمنين، فأمَّا بعد قوةِ دولةِ الإســـلامِ فلا، وروى عوف عن الحسن، أنَّه قال: التقيةُ جائزةٌ للمؤمنين إلى يوم القيامـــة، وهذا القول أولى؛ لأنَّ دفعَ الضررِ عن النفسِ واجبٌ بقدرِ الإمكان»[1].

وقد أفاد كلامه أربعَ نقاطٍ هامةٍ في التقية:

(أ) مشروعية التقية مع المشركين.

(ب) حليَّة التقية مع المسلمين كما هو الحال مع المشركين.

(ج) جواز التقية لصونِ المالِ فضلاً عن النفس.

(د) ثبوت حكم التقية إلى يوم القيامة.

خلاصة بحث الآية:

إنَّ الآيةَ المباركةَ واردةٌ في مقام التَّرخيص بالتقيَّة، وهي مقيِّـــدة لكلِّ الآيات الناهية عن موالاة المشـــركين، وقد اســـتُفيدَ منها جوازُ التقيـــة بين المســـلمين إذا شـــاكلتْ الحالةُ ظروفَ المشـــركين، وإنَّ هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة. هذا ما صرَّح به المفســـرون من المذاهب الأخرى. وهو لا يختلفُ مع ما يعتقدُ به الشـــيعةُ الإماميةُ في مسألة التقية، فعلامَ التشنيّع على التشيع، وتوجيهُ القالِ والقيلِ بين الحين والآخر؟ أتـــرك الجواب للقارئ اللبيب ليحكمَ بنفسه.

إلفات نظر:

هاتـــان الآيتان وإنْ كان موردُ نزولهما هو التقية مع الكافرين، إلّا أنَّ الحكم فيهما عامّاً لمّا قرره علماء الأصول في محلّه من أنَّ مورد الـــنزول لا يخصص الآية الـــواردة إذا كانت عامةً ومطلقةً، ولاشك في أنَّ الآيتين في المقام خصوصاً قوله: «إلاَّ مَنْ أُكْـــرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ» شـــامل لإكراه مطلق الظالم، وكذا قولـــه: «إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً» فهو في مقام بيان أساس مشروعية التقية وموردها وإنْ كان مع الكافرين، إلّا أنَّه لا يخصّص الوارد. ويؤيّد ذلك الرواياتُ الكثيرةُ الواردةُ عن النبي (صلى الله عليه وآله) والتي صرَّحت بالشمول بشكل واضح وصريـــح، كقوله (صلى الله عليه وآله) : «لمَّا جاء جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وآلـــه) فأخبره بما يكـــون في أمته من الفرقة والاختلاف، فشـــقَّ ذلك عليه، ثمّ دعا فقال: اللّهم أظهر عليهـــم أفضلهم تقية»[2]، وقوله (صلى الله عليه وآله): «بئس القوم قوم يمشي المؤمن فيهم بالتقيـــة والكتمان»[3]. وغيرها من الأحاديث الصريحـــة، والتي تؤيّد شمول

(١) تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج ٨، ص ١٤.

(٢) جامع البيان، الطبري: ج٧، ص٢٩٣.

(٣) الجامع الصغير، السيوطي: ج١، ص٤٩١، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى/ ١٤١٥ق. كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٦، ص١١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ق.

حكم التقية، الأمر الذي استفاد جماعةٌ من مفسري أهل السنّة كما مرَّ عليك آنفاً.

الخاتمة

توصَّلنا في هذه الإطلالة السريعة على جملةٍ من تفاسير أهلِ السنّة إلى مجموعةٍ من النتائج الهامةِ نعرضُ أهمَّها:

١- إنَّ المذاهبَ الإسلاميةَ لا تختلفُ في بيان مفهوم التقية، فهي عندهم في اللغة بمعنى الحيطةِ والحذر والاحتراس، وفي الاصطلاح بمعنى أنْ يُظهرَ الإنسانُ خلافَ ما يبطنه من الحق خوفاً على النفس أو المال أو العِرض، وأنّها تباين النفاقَ إذ حقيقتُهُ مغايرةٌ للتقية تماماً.

٢- إنَّ التقيةَ بالمعنى السالف أمرٌ مشروعٌ في الديانات السابقة وقد صرَّحَ القرآنُ الكريم بذلك، وهذا ما استنبطه وتوصَّل إليه المفسرون من المذاهب الإسلامية المختلفة، وقد اتّفقت آراؤهم على ذلك، وصرَّحوا بأنَّ أصحابَ الكهف ومؤمنَ آل فرعون ممَّن استعملَ التقية وسيلةً لحفظ نفسه ودينه، كما نصَّ القرآن الكريم على ذلك.

٣- لا فرقَ في الحكم بجواز التقية في الديانات السابقة والإسلام باتّفاق أقوال المفسرين تبعاً لتصريح القرآن الكريم بذلك، والآيةُ الواردةُ في تقيَّة عمار بن ياسر من أهمِّ الأدلة على ذلك، خصوصاً مع إقرار النبي (صلى الله عليه وآله) له على التقيَّة وأمره بالعود لها كلَّما

تكرر الظرف.

٤- التقيةُ التي وردتْ النصوصُ القرآنيةُ بجوازها في الشريعة الإسلامية المقدسة لم تُشرَّعْ من أجل صونِ النفس وحفظها من الضرر فحسب، بل شمل الجواز الاتقاءَ من أجل صون العِرض والمال فضلاً عن الدين.

٥- حليَّةُ التقية مع المسلمين كما هو الحال مع الكافرين عند وجود العلّة الداعية لذلك. وإنَّ حكمَ التقية ـ جوازاً ـ باقٍ إلى يوم القيامة.

ولم يوجدْ هنالك ما ينسخ هذا الحكم، أو يضيّق موضوعه.

٦- إنَّ الروايات المعتبرة الواردة في مصادر أهل السنة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تؤكّد مشروعية التقية، وأنَّها حقيقةٌ إسلاميةٌ نابعةٌ من صميم الشرع.

٧- إنَّ سيرة الصحابة كانت قائمة على أساس الاعتماد على التقية كوسيلة من وسائل حفظ الدين والنفس والمال.

الضرر المعنوي وحرمته في القرآن الكريم

الدكتور: السيد عبد الحسين الموسوي الصافي[1]

يُعبّر عن الضرر المعنوي بصيغ مختلفة، فقد يقال له: الضرر الأدبي: ويقال له: الضرر غير المادي، والمراد منه وقوع الأضرار في الأشياء غير الحسية والمادية. لذلك أنّه لا يتوجّه على مس أموال المضرور وإنّما يصيب مصلحة غير مالية أو مادية، نعم إنّ إصابة الجسم ـ مثلاً ـ تعدّ ضرراً مادياً؛ لكونها اعتداء على حق الإنسان في الحياة وسلامة الجسم، لكن بلا ريب قد تتعدّى إلى إصابات معنوية أدبية، فقد يصاب المضرور في عاطفته وشعوره ويدخل إلى قلبه الغم والحزن، فيكون ضرراً مادياً وأدبياً في آن واحد ويكون من قسم الأضرار المزدوجة.

(١) أستاذ وخطيب وباحث اسلامي له كتابات مختلفة، وبالخصوص في علوم القرآن والفقه.

وكيف كان، يمكن أن نعرّف الضرر المعنوي بهذا التعريف، ونقول: إن الضرر المنعوي هو كلّ ما يصيب الإنسان بحقوقه المعنوية وبحيثياته الاعتبارية وأعضائه النفسية. أو بعبارة أُخرى: ما يصيب الإنسان بناحية غير ماديّة.

أصناف الأضرار المعنوية

وهناك جملة من الأضرار المعنوية: تقع على الأفراد بما هم أفراد، من قبيل الافتراء والهجاء: وهو الرمي بما دون القذف. والسب: وهو الشتم، كقولك: يا شارب الخمر أو يا خائن ويا كلب ويا حمار، ويشمل أيضاً الكلام بالفحش: وهو في الأصل الزيادة والكثرة ثمّ غلب في التعدّي بالقول والجواب، والمراد منه: التصريح بالذمائم التي يُستحى منها، ويجري كثيراً على ألسنة السفهاء بشكل عبارات قبيحة وصريحة، وقد يستهجنونها أهل الحياء والصلاح. فهذا وغيره ممّا يترشّح منه أضرار

معنويـــة تلحق بالمجني عليـــه، وتترتب عليه آثارٌشرعية وعرفية.

وأيضاً التجســـس: وهو عبارة عن تتبع ما اســـتتر من أمور الناس للاطّلاع عليها، سواء كان على الصعيد الفـــردي أم الجماعي، وفي عصرنا تطورت وســـائل التجسس والمراقبة ســـواء كانت لأغراض سياسة أو اجتماعية أو غيرها. ويشـــمل المراقبة من خلال وســـائل الاتصال وغيرها.

وتقييد الحرية: وهو إمّا حبس الإنســـان في مـــكان معين، أو إخضاعه للإقامة الجبرية وعدم الســـماح له بالسفر لمحافظة أو لدولة أخرى، وأيضاً يشـــمل التقييد في التعبير عن الرأي والنظر وما إليه، فكلّ حبس لشخص أو لجارحة من جوارحه فهو تقييد لحريته وإضرار به على الصعيد النفسي والاجتماعي. ويشمل الاختطاف وما شـــاكله فهو أيضاً يحتوي على أضرار معنوية، إضافة للأضرار المادية.

الإهانة: وهي اعتداء على الطرف الآخر بأساليب تلحق ضرراً معنوياً، من قبيل البصق والبزق في وجهه، أو الهمـــز واللمز وما إليه، فـــكل هذا يكون ســـبباً في إضـــراره وذهاب اعتبـــاره في المجتمع والحط من شـــخصيته. وأيضاً تشمل الإهانة بالقول والكتابة وغيرها، سواء في وسائل الإعلام المرئية أم الصوتية أم الخطيّـــة، فكلّها من ضروب الإضرار بالطرف المقابل على سبيل الإهانة والتحقير.

وأيضاً الغيبة والبهتان، وحقيقتهما: هو مس بحقوق الآخرين وفيه انعدام وقتل للشخصية والســـقوط من أعين الناس وفي أذهانهم، فهو في حقيقة أمره قتل على الصعيد المعنوي، فكما أنّ القتل المادي هو فساد الجسد وإعدامه عن الوجود وذهابه من بين أقرانه، فأيضاً الغيبة والبهتان قتل للشخص في أذهان الناس وإفساد شـــخصيته المعنوية واعتباره الاجتماعي، وهو يشـــمل الحكاية والكتابـــة وكل عمل يدل على ذلك بل وحتى الإشـــارة، كما تدل ذلك رواية النبي(صلى الله عليه وآله) أيضاً عن عائشة، قالت: «جاءت امرأة قصيرة إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالسة عنده، فقلت بإبهامي هكذا فأشرت بها إلى النبي صلى الله عليه وســـلم أي أنّها مثل الإبهام، فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: لقد اغتبتيها»[1]. وحتى السامع للغيبة يكون أحد الأفراد الذين تلبسّوا بالاعتداء والإجرام والإضرار بالطرف الثالث، فلا أقول أنّه شـــريك في الجريمة وفي إيجاد الضرر، لأنّها لا تتحقق إلّا من طرفين، فكل واحد يحتوي على جزء من الجريمة بحق الطرف الثالث، وذلك ما أكده الشـــرع على لســـان المصطفى(صلى الله عليه وآله) حيث

(١) مسند ابن راهويه، إسحاق بن راهويه، ج ٣ ص٩٢١.

قال: (السامع للغيبة أحد المغتابين)[٢].

ومنها: إنتهاك الأسرة أخلاقياً، فإنّ للأسرة حريماً واعتبارات لا يجوز المساس بها أوانتهاكها في كل الأحوال، فلو أنتهكت هذه الأسرة أخلاقياً من قبل شخص ما كأن تسلّق الجدار ونزل إلى داخل الدار واطلع على عوراتها، أو أعابها بكلام أمام أحدهم بحيث أذهب مكانتها أو افترى عليها وهكذا، فكل هذا يُعدّ ضرراً على كيان الأسرة، ليس فقط بشخص معين وإنّما بمجمل الأسرة وفي كل الاعتبارات، لذلك هناك روايات تشدّد على حرمة انتهاك الأسرة، فقد ورد عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «أيّما رجل اطلع على قوم في دارهم لينظر إلى عوراتهم ففقؤوا عينه أو جرحوه فلا دية عليهم»[٣]. وغيرها من الروايات.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٩ ص١٣٣.

(٣) تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، الذهبي، ج٢ ص٢٦٣.

ومن ذلك أيضاً إفشاء الأسرار المحرمة للأسرة، فقد يعدّ اعتداء وانتهاكاً لها ويلحق بها ضرر على الصعيد المعنوي.

ويشمل أيضاً التجسس على الأسرة والمراقبتها، سواء كان بالأجهزة الخفية أم بالمراقبة الشديدة، لاسيما في عصرنا الراهن، فقد أصبحت الأجهزة الصغيرة المعدّة للمراقبة والتتبع في متناول الأيدي لدى الكثير من الناس.

ومنها أيضاً اضطهاد الأسرة والتضييق عليها في جملة من الأمور التي تؤدي إلى الكبت والانفعال والحالات النفسية، وهذا يكون إمّا من ربّ الأسرة أو من طرف آخر. ويجري إمّا على الأبناء أو على الزوجة أو غيرهما، فهو أيضاً ضرر وحبس لحريتهم وإجحاف في حقّهم وتعدّي على حقوقهم، فهناك حقوق معنوية للابن من قبيل تحسين اسمه وبناء شخصيته وتربيته وما إليها، وأيضاً للزوجة حقوق، فبالإضافة إلى الحقوق المادية هناك حقوقٌ معنوية من حقها أن تتمتع بها، وهكذا فإن للأسرة حقوقاً واعتبارات معنوية، والاعتداء عليها يسبب الضرر.

وهناك جملة من الأضرار المعنوية أيضاً تحط أوزارها على الأمة والمجتمع وتترك آثاراً لا يحمد عقباها، بل تسبب انسياباً وتفسخاً في الأمة، ولم يتضرر بها الفرد والأسرة فقط، بل تلحق الأضرار بالمجتمع المكون من الأسرة والأفراد، لذلك فإنّ هذه الأضرار المعنوية المتوجهة للمجتمع ربّما تكون أشد ضرراً من غيرها بحسب عمومية ضررها، وتترك آثارها حتى للأجيال المتعاقبة، ومن تلك الأضرار الاعتداء على المقدسات، ففيه إهانة للأمة ونوع من الخضوع والإذلال والتحقير بالإضافة إلى الآلام النفسية؛ لأنّ المُعتَقد يعدّ جزءًا من كيان الإنسان ويوجب على نفسه الدفاع عنه وحفظ معالمة، وهذا الاعتداء يتحقق إمّا بالفعل أو بالكلام أو بالكتابة أو بالصور وغيرها، ويشمل أيضاً النيل من الرموز المتفق على احترامها وتقديرها.

ومنها: اعتداء الحكومات على الشعوب: وهذا يتحقق من خلال القوانين المخالفة لحرية الشعب وإقامة العدل وما إليه، أو ضغوط سياسية تخلّف أثراً على طبيعة المجتمع وتلحق به أضراراً معنوية من قبيل عدم الاستقلال والخضوع إلى دولة أخرى، فقد تصاب هذه الأمة بالخضوع والإذلال ممّا يجعلها فاقدة للشخصية والحرية.

ومنها أيضاً إهمال المجتمع في عدم تقديم الخدمة اللازمة له والاعتناء في محو الأمية والتعليم والارتقاء نحو الكمال، وكل ما يتولد منه ضرر معنوي على المجتمع، فلو سكتت الدولة عن انتشار وإفشاء الفساد فإن هذا يعدّ اعتداءً على الشعب وإلحاق الضرر المعنوي به...

الأدلة القرآنية لحرمة الأضرار المعنوية

يعد القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع لأحكام الدين الإسلامي الحنيف، ومن ثم تليه السنّة النبوية الشريفة والتي تُعدّ المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم لدى المسلمين كافة، وعليه يعود تاريخ نفي الضرر والضرار إلى زمان التشريع الإسلامي في الصدر الأول، وفي تلك الحقبة الزمنية غرست أصول هذا الحكم من الحرمة، سواء كان على الصعيد المعنوي أو المادي.

ومن هنا نلاحظ جملة من الآيات القرآنية جاءت تنفي الضرر والضرارو ترفعه، وكما نلاحظ أيضاً السنة الشريفة قد أولت اهتماماً واسعاً في ردع الأضرار المعنوية والوقوف حائلاً دونها، سواء كان من كلام المعصوم أو فعله، وقد أعطت قوانين عامة يتغذّى منها الإنسان في كل عصر ومكان، من قبيل موقف النبي(صلى الله عليه وآله) مع سَمُرة بن جندب وقوله: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)، وغير ذلك.

ومعنى هذا أنّ الدين الإسلامي نظام منسجمٌ مع نواميس الفطرة، وقوانينه متكاملة تضمن للإنسان جميع نواحي حياته ومتطلّباته من الحقوق الاجتماعية أو الفردية، كما تضمن كرامته وحريته وسائر الحقوق التي يفتقر إليها في تعايشه مع الآخرين، حتى أنّه بلغ من حرص الإسلام الحنيف في حفظ حقوق الإنسان كافة أنْ شرّع قانوناً يحرّم كل ما يُعدّ ضرراً على البشرية، فأسس نظام حقوق الإنسان المتمثل بقاعدة نفي الضرر والضرار التي تعد من أهم ركائز المجتمع السليم، فهي تنظّم الروابط الاجتماعية والفردية.

والحاصل بعدما ثبت أنّ الشرع الحنيف جاء بنظم وقوانين تنظّم شؤون البشر على المستوى المادي والمعنوي في جميع الأصعدة، وتحافظ على كيان الفرد والأمة، ووضعت حدوداً لا يجوز تجاوزها وجعلتها بمثابة الخطوط الحمر، وهي ما تشمل التجاوزات على الحقوق والحيثيات المعنوية، فقد حظيت باهتمام واسع من الشريعة، حيث وردت جملة من الآيات القرآنية التي تنهى وتحذّر عن هذا العمل الشنيع، سواء كان بالقول أم بالفعل، بالإضافة إلى الروايات الكثيرة الصادرة من النبي(صلى الله عليه وآله) وأهل البيت(عليهم السلام) مع أن العقل يرفض ويقبح كل هذه الاعتداءات، وعليه سوف نذكر بعد الأدلة الواردة في ثبوت حرمة الأضرار المعنوية.

قد وردت مجموعة من الآيات القرآنية التي يمكن أن يستفاد منها إثبات حرمة الضرر المعنوي، ولو أنّ بعضها فاقدة للعموم في ظاهرها إلّا أنّها قابلة للتعدي إلى موردها، أمّا لعدم تخصيص المورد للوارد لاسيّما في حال ضمّها مجتمعةً مع باقي الأدلة في هذا

المجال، أو لبيان مصداق لا أقل من حرمة الأضرار المعنوية وبه يتحقق ما نروم إليه، أو لتقبيح تخصيص الأكثر لوروده في مجموعة كبيرة من الموارد.

نعم، بعض هذه الآيات عامة، كما يستفاد منها حرمة الضرر المادي فقد يستفاد منها حرمة الضرر المعنوي، فهي لم تختص في التحريم أو النهي بالأضرار المادية، بل تشمل الاثنين.

المورد الأول: آية لا تُضار

قوله تعالى:﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ... ﴾[1]، هناك جملة من التفاسير وردت في بيان هذه الآية الكريمة، ومن تلك التفاسير والتي لها صلة في بحثنا هو أنّه لا يجوز للوالدة أن تضر زوجها بحجة أنّها تخاف الإضرار بالرضّع، وذلك عندما يطلب منها الزوج الجماع ترفض ذلك خوف الحمل، كما ثبت في الأعم الأغلب أنّ الحمل يؤثر على الحليب ويقطعه أو يفسده فيتضرر الرضيعها، بالإضافة إلى الآثار السلبية الأخرى التي تلحق الولد، كما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله): «لقد هممت أن أنهي عن الغيلة»[2]. والغيلة هو الغيل: وهو أن يجامع الرجل المرأة وهي مرضع. يقال عنه: قد أغال الرجل وأغيل، والولد مغال ومغيل[3].

وأيضاً لا يحق للزوج أن يضرر الزوجة في حال رفضه للجماع ويقول لها أخاف الحمل وإضرار ابني الرضيع، لذلك ورد في المأثور عن الإمام الصادق(عليه السلام) في تفسير هذه الآية بهذا المعنى، سألته عن قوله تعالى: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ فقال: كانت المراضع ممّا يدفع إحداهن الرجل إذا أراد الجماع تقول: لا أدعك، إنّي أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا الذي أرضعه، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول: أخاف أن أجامعك فأقتل ولدي فيدعها ولا يجامعها، فنهى الله عزّ وجل عن ذلك أن يضار الرجل المرأة والمرأة الرجل[4].

وقد جاء عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) فإنّه حدثني أبي عن محمد بن الفضيل عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: لا ينبغي للرجل أن يمتنع من جماع المرأة فيضار بها إذا كان لها: ولد مرضع، ويقول لها لا أقربك فإنّي أخاف عليك الحبل فتقتلين ولدي، وكذا المرأة لا يحل لها

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٢٨٣.

(٣) راجع: الصحاح، الجوهري، ج٥ ص١٧٨٧.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني ج ٦ ص٤١، وتهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج٧ ص٤١٨.

أن تمتنع عن الرجل، فتقول: إنّي أخاف أن أحبل فأقتل ولدي، فهذه المضارة في الجماع على الرجل والمرأة[٥].

وعن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله(عليه السلام) عن قوله (عز وجل): (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) قال: الجماع[٦].

تقريب الاستدلال

أنّ الامتناع عن الجماع ليس ضرراً مادياً على الزوج ولا على الزوجة، وإنّما هو ضرر معنوي ورغبة غير محسوسة، بل هي عبارة عن كبت وحرمان بمثابة تقييد الحرية، فلو أُجّل الجماع لم يلزم منه الهلاك والموت ولم يلحق أثراً في الجسم، نعم فيه آثار نفسية معنوية، فالجماع حق معنوي لكلا الطرفين، أقرّه الشرع بشروطه.

فظاهر الآية الكريمة أنّها تنهى عن الضرر المعنوي الذي يلحق بالزوج أو الزوجة في حال طلب الجماع، وتنهى عن امتناع الجماع لأجل أمر آخر. بل يستفاد منه هنا أنّ الضرر المعنوي مقدم على الضرر المادي؛ لأنّه حصل تعارض بين ضررين إحداهما مادي والآخر معنوي، أمّا الزوج أو الزوجة يمتنعان من الجماع حتى لا يتضرر الولد الرضيع ولو أنّهما يتضرران معنوياً، أو يحقّ لهما الجماع فيلزم منه في حال الجماع وإيجاد حمل تضرر الولد الرضيع مادياً، حيث يلزم منه انقطاع الحليب، أو لا أقل فساد الحليب وجعله ذات آثار سلبية تلحق بالرضيع آخر عمره، كما أشار إلى ذلك النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ونهى عن الغيل، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يقول« لا تقتلوا أولادكم سرّاً، فإنّ قتل الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن ظهر فرسه»[٧]. فهنا الشارع قدم رفع الضرر المعنوي الذي يلحق بالزوجين دون الضرر المادي الذي يلحق بالرضيع.

ربّما يُقال:

إنّ الشارع المقدس قدّم المقاربة هنا على غيرها، ليس من باب الضرر المعنوي الذي يلحق بالزوجين منحسب، بل هو من باب الحفاظ عليهما من الانحراف والتسيب، حتى لا يلزم اختلال في نظام الأسرة، بل وقد يتعدّى إلى المجتمع والأمة، فالزوجة كما في القرآن الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ

(٥) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج١ ص ٧٧.

(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ص١٢٠.

(٧) مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، ج ٦ ص ٤٥٣.

لِبَاسٌ لَّهُـنَّ﴾[1]، لباس للزوج، والزوج أيضاً لباس لزوجتـه، أن يتقـي بأحدهما الآخر موارد الانحراف والهلكة، لذلك نجد الشارع في كثير من الموارد يقدم المقاربة. فالرواية هنـا عندما تجيز الجماع حـتى مع الضرر بالمولود الرضيع ليس لكونه رفع الضرر عن الزوجين، بل من باب الحفـاظ عليهما من الانحراف، وعليه تكـون خارجة عن البحث ومورد الاستدلال.

قلـت: إنّ الآية صريحة في لفظها في بيان رفع الضرر أو النهي عنه (لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ...) والاختلاف في تفسـيرها ليس في أنّه ضرر أم لا، بل هو في شمولها الضرر المعنوي، فهل هي ناظرة إلى الضرر المادي فقط.

بالإضافة إلى لسـان الروايات الدالة على تفسيرها، فقد تعدها ضرراً من كلا الجنسين في حال الامتناع، كما هو واضح من ذيل الرواية: (فنهى الله (عز وجل) عن ذلك أن يضارّ الرجل المرأة والمـرأة الرجل)، فعند امتناع الزوج أو الزوجة عن الجمـاع يلزم منه ضرر وحرج في حق الطرف الآخر. ومع فرض التسـليم فإنّ الانحلال نفسه والتسيب واختلال نظام الأسرة يعدّ من مصاديق الأضرار المعنوية سـواء كان على الصعيد الفردي أم الأسري.

(١) البقرة: ١٨٧.

المورد الثاني: آية الطلاق

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَـاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِـكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَـرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾[2].

استفاد بعض الناس من الفقرات القانونية سـواء كانت شـرعية أم وضعية في الإضرار بالطرف الآخـر لأهواء نفسـية أم غيرها، حيث جاء في بعض الروايات أن بعض الرجال يطلقون نساءهم ويصبرون عليهنّ، فإذا أخذت أجل انقضاء العدة يراجعها لا عن رغبة فيها بل إضراراً وانتقاماً منها، وذلك بما استفاده من قانون كون الطلاق بيد من أخذ بالساق.

كمـا جاء في خـبر الحلبي قال سـألت الصادق(عليه السـلام) عن قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ قال(عليه السلام): «الرجـل يطلّق حتى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعهـا ثمّ طلقها يفعل ذلـك ثلاث مرات، فنهى الله (عز وجل) عن ذلك»[3].

وأيضـاً في خبر البزنطي عـن أبي عبد الله(عليه السـلام) قـال: «لا ينبغي للرجل أن يطلّـق امرأتـه ثمّ يراجعها وليس له فيها حاجة، ثمّ يطلّقها، فهـذا الضرار الذي نهى الله (عـز وجل) عنـه إلّا أن يطلّق ثمّ يراجع

(٢) البقرة: ٢٣١.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٣ ص٥٠١.

وهو ينوي الإمساك»[4]. وهذا المعنى ورد عن مجاهد وابن عباس ومسروق وغيرهم. كما في سنن البيهقي، قال: الرجل يطلق امرأته فإذا أرادت أن تنقضي عدّتها أشهد على رجعتها، ثمّ يطلقها فإذا أرادت أن تنقضي عدتها أشهد على ردّعها، يريد أن يطول عليها[5].

وجه الاستدلال في المسألة

إنّ هذه الآية صريحة في النهي عن الضرر بالزوجة، ويشمل ذلك الإضرار المعنوية إذا لم يكن هو المرجح، حيث إنّ في إرجاعها بهذا الشكل ضغط وتعذيب نفسي وحرمان من الاستقرار والزواج من غيره، مع أنّ إمساكه لها لم يكن إلّا لقصد التضييق والتعذيب كما هو في صريح الآية ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾، إضافة إلى الضغط النفسي فأنّه عضلها وحبسها عن حرّيتها من الزواج وغيره، كما أنّ الله تعالى نهى عن العضل بشكل مطلق في قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ... ﴾[6].

والعضل: هو الحبس، سواء كان مأخوذاً من المنع أو مأخوذاً من الضيق والشدّة، بالإضافة إلى ترك جماعها مدّةً طويلة.

وكيف كان فإنّ هذه الآية تنهى عن الأضرار المعنوية التي تلحق بالزوجة من قبل زوجها، وإن اتبع بذلك النهج القانوني التشريعي إلّا أنّه استفاد منه الإضرار بالطرف المقابل من الحبس والتضييق وما إليه، فقد نهى الشارع عن هذا العمل المضر وشدّد على حرمته.

نعم، وإن كان الأول أضر بحالها إذ لا يجدن سبيلاً لإطلاق سراحهن حين يُمسكن ولمّا تنقضي العدة، فقد يمسكن في عدتين طوال ستة أشهر ثمّ يضاف إليها ثلاثة أخرى في الطلاق الثالث، والضرار هنا يختص بالإمساك نفسه كيلا يسرحنّ في حياة حرة عن عبء هذا الزواج والإيذاء خلال الإمساك وما إليه[7].

المورد الثالث: آية مسجد ضرار

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾[8].

إنّ جماعة من المنافقين بنو مسجداً للتفريق بين المسلمين وإيقاع الاختلاف بينهم، على أن يصلي جماعة منهم في هذا المسجد وجماعة أخرى في المسجد الذي كانوا يصلون

(٤) وسائل الشيعة، العاملي، ج٢٢ ص١٧٢.

(٥) السنن الكبرى، البيهقي ج ٧ ص ٣٦٨.

(٦) البقرة: ٢٣٢.

(٧) أنظر: الفرقان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٧١.

(٨) التوبة: ١٠٧.

فيه قبل ذلك، ثمّ يوقعوا الاختلاف بين الفريقين لينتهي إلى ضعف المسلمين وتشتّت كلمتهم مقابل الكفار.

فقد كانوا يقصدون باتخاذهم هذا المسجد تضعيف المسلمين وتفريقهم وتقوية أعدائهم كما يظهر من ذيل الآية، هذا المورد على المسلمين لم يكن ضرراً مادياً أو نفسياً بل تضييق وتضعيف قوة المسلمين فيكون ضرر على الأمة الإسلامية في تهديم كيانها وتضعيف قوتها، وهذا من الأضرار المعنوية التي تقع على كيان المجتمع المسلم، وبالتالي يلحق هذا الضرر بالأفراد.

فالقرآن وصف هذا العمل بأنّه ضرر يجب على المسلمين أن يحذروه ويجتنبوه، وكل مَن تلبّس به فقد يصدق عليه أنّه رجل مضار يستحق العقاب. وكيف كان فإنّ الضرر هنا في الآية يشمل الأضرار المعنوية وهو منهي عنه كما في صريح الآية.

المورد الرابع: لاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ... الخ﴾[1].

لهذه الآية الكريمة قراءتان، الأولى يحتمل أن يكون اللفظ (لاَ يُضَآرَّ) مبنياً للفاعل، بنحو البناء على الفاعل وصيغة المعلوم وأصله (يضارِر) بالكسر فعلى هذا يكون النهي وارداً على «الكاتب» و«الشهيد»، بمعنى أنّ كل واحد منهما منهي عن مضارته من صاحب الحق الطالب للكتابة أو الشهادة؛ لأنّ الكاتب لولا النهي قد يكتب ما لم يمل عليه، وأيضاً الشاهد لولا النهي قد يشهد ما لم يستشهد أو يمتنع عن أداء الشهادة وهو قادر عليها، وممّا يؤيّد هذه القراءة قراءة الحسن وقتادة: ﴿وَلاَ يضار كَاتِبٌ﴾

(١) البقرة: ٢٨٢.

بكسر الراء، حتى ورد عن الحسن وقتادة لا يضارَّ كاتب فيكلف ما لم يؤمر به، ولا يضار الشهيد فيزيد في شهادته[٢]. وعلى هذا يكون النهي موجّهاً إلى الكاتب والشهيد عن مضارّة صاحب الحق.

والقراءة الثانية: يحتمل أن يكون اللفظ (لا يضار) مبنياً للمفعول بنحو البناء على المفعول وصيغته المجهول وأصله (يضارر) بالفتح، وعلى هذا يكون النهي موجّه لصاحب الحق، فهو منهي عن مضارة الكاتب والشهيد، ويمكن أن يشمل كل شخص منهي عن مضارة الكاتب والشاهد، ويؤيّد الاحتمال أيضاً ما ورد في قراءة عبد الله بن مسعود ومجاهد «يضارر» بفتح الراء وكما احتمله الطبرسي وجعله العدل الثاني في الاحتمال حيث قال: والثاني: إنّ أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى فأُدغمت فيكون المعنى لا يدعى الكاتب على وجه يضرّ به وكذلك الشاهد، ويمكن أن تشمل الآية كلا المعنيين (الفاعل ـ والمفعول) حيث تنهى الكاتب والشهيد عن الإضرار بمَن كتب له أو عليه، كما تنهى الدائنين والمتبايعين عن الإضرار بالكاتب والشهيد، فالآية تنهى الكاتب والشهيد عن الإضرار بالغير وفي الوقت نفسه تنهى المتبايعين والمتداينين عن الإضرار بالغير، والمضارة هنا تعمّ المادية والمعنوية كما ذهب إليه بعض المفسرين[٣].

ومن هنا نلاحظ المفسرين أنّهم ذكروا لهذه الآية عدّة معان، منها عن ابن عباس لا يضر الشاهد والكاتب لمن يدعوه إلى تحملها، ومنها لا يضر الشاهد أن يشهد له فيؤدي غير ما يحتمل ولا يغير الكاتب لمَن يكتب له فيكتب غير ما قيل له، ومنها لا يضر بالشاهد والكاتب مَن يستدعيه فيقول له: دع إشغالك واشتغل بحاجتي...

وكيف كانت معاني هذه الآية أو قراءتها فهي تثبت ما نروم إليه من حرمة الأضرار المعنوية، سواء قلنا إنّ الخطاب موجّه للكاتب والشاهد ألا يقوما بالإضرار على الموصى له أو المشهود له، وذلك في تحريف الكتابة أو الشهادة أو التزوير وما إليه، فقد يلزم أنّهما قد أقدما على ضرر الغير بما يشينه. نعم هي تشمل الأضرار المادية لكن يمكن أن تتعدّى إلى الأضرار المعنوية من قبيل تحريف الكتابة بما ينقص الموصى له اعتباره ومكانته، كما ذهب لهذا المعنى صاحب مجمع البيان، حيث جعل هذا المعنى أحد الاحتمالين ورجّحه على غيره.

---

(٢) قاعدة لا ضرر، الميرزا محمد حسين الغروي النائيني، تقريرات الشيخ موسى النجفي الخنساري، اصفهان: كانون بروهش ١٤٢١ ق.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن، الشيخ محمد صادقي، ج ٣ ص ٣٧٢ ط ٣ إسماعيليان قم، ١٤٠٨ هـ ق.

حيث قال: إنّ في الآية قولين: أحدهما: أنّ أصله لا يضارر فأدغمت الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه: لا يكتب الكاتب إلّا بالحق، لا يشهدان هذا إلّا بالحق.

وأمّا لو كانت الآية ـ كما هو الظاهر منها ـ تنهى عن إضرار الكاتب والشهيد مَن يكلفهم بما لا يطاق أو يشقّ عليهم أو يزيل من اعتبارهم من خلال الضغط والتهديد وما إليه، فيكون مصبّه بشكل واسع على الأضرار المعنوية التي تلحق بالكاتب والشاهد.

والحاصل أنّ الآية ـ بكل معانيها ـ تنهى عن الأضرار المعنوية التي تلحق بالغير، وأمّا ورودها بالكتابة والشهادة فلا يخصصها من أن تتعدى إلى غيرها من الأضرار المعنوية، فلسانها كغيرها في وضع الضرر.

المورد الخامس: النهي عن التجسس

قوله تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا...إلخ﴾

الآية صريحة في النهي عن التجسس، والمراد بالتجسس: هو عبارة عن تتبع ما استتر من أمور الناس للاطلاع عليه، سواء كان على الصعيد الفردي أم الجماعي، فيكون معنى الآية النهي عن تتبع عيوب المسلمين لهتك الأمور التي سترها أهلها. فيحرم التفتيش والتجسس على دقائقهم وعن إذاعتها وإشاعتها على فرض الإطلاع عليها، فإنّ حياة الإنسان إنّما هي تتقوم بشخصيته الاجتماعية، والهتك بها سلب لها، ولا يخفى أنّ التجسس بكل أنواعه ضرار بحق الغير واعتداء لا ريب فيه، وهو من مصاديق الأضرار المعنوية والمادية التي يلزم منها انتهاك لبعض أموره التي ستر عليها. فالقرآن الكريم يحرّم هذا العمل ويحفظ جوانب حياة الإنسان حتى في مثل هذا، أو كل من أقدم على الغير في التجسس والتفتيش للاطلاع على عوراته أو التعرف على أسراره وما إليها، فقد ارتكب محرماً بسبب هذا الاعتداء المعنوي وغيره.

نعم يخرج عن ذلك ما كان فيه مصلحة للمسلمين والدفاع عن بيضة الإسلام، وثبت جليّاً أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) كان يرسل عيوناً لترقّب تحركات الأعداء وما إليها.

فتحصل أنّ الله ينهى عن التجسس والتحسس في الجملة: وهو تتبّع أسرار الغير، ويُعدّ من مصاديق الإضرار بحق الطرف الآخر لاسيّما الأضرار المعنوية.

نعم، إنّ التجسس الذي هو التتبع والتفحص عن بواطن الأمور، تارة يكون لنفسه أو لغيره، وتارة يكون لداعي الشر أو لداعي الخير، لذلك فإنّ موارد التجسس تختلف من جهة اشتمالها على المصالح وعدمها. وهي على أقسام:

أحدهـــا: أن يكون لمجـــرد الاطلاع عن أحـــوال الأشـــخاص من دون غـــرض وداع عقلائي عليه.

وثانيهـــا: أن يكون ذلك لغرض فاســـد، كالهتك واذاعة الفحشاء وإيذاء المؤمنين.

وثالثها: أن يكون ذلك لغرض عقلائي، إما لغـــرض لازم كحفظ أمن الحكومة من إخلال الكفار أو المنافقين، أو لدفع نشـــر الفســـاد الاجتماعي، ســـواء أكان أخلاقيا أو مالياً، أو لدفع الإضلال والانحراف عـــن المجتمعات الإســـلامية، أو للاطلاع علـــى كيفية إتيان العمال وظائفهم، أو للاطلاع على الارتشـــاء والاختلاس، او الاطلاع علـــى قوات الأعداء وإعداداتهم وغير ذلك من الأغراض اللازمة.

وأمّا لغـــرض راجح كالاطلاع عن الأفراد الكاملين لإعطائهم المناصب المناســـبة لهم، أو الاطـــلاع على العلوم الحديثـــة. ولا ريب أنّ القســـم الأول والثاني محرم ومنهي عنه بخلاف الثالث.

المورد السادس: النهي عن الغيبة

قولـــه تعالى: ﴿وَلا يَغْتَـــب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

الآية صريحة في النهي عن الغيبة: وهي ذكـــر الطرف الآخر بما يكره، وقد شـــددت الشـــريعة على تحريم الغيبـــة لكونها بمثابة القتل لشـــخصية الإنسان في أذهان الآخرين وإسقاطه اجتماعياً، فالإنسان كما أنّ له كياناً مادياً كذلك له كيان معنـــوي أيضاً فالغيبة هـــي انتهاك وقتل لهذا الكيان المعنوي الذي له شـــأن في أذهان الناس وأعراف المجتمع، وهذا في الحقيقة ضرر معنوي يلحق به، وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصـــوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس، واعلم أنّ الســـبب الموجب للتشـــديد في أمر الغيبة وجعلها من المعاصي الكبيرة هو اشـــتمالها على المفاســـد الكلية المنافية لغرض الحكيم ســـبحانه، بخلاف بقيـــة المعاصي فإنّها مســـتلزمه لمفاســـد جزئية، إنّ المقاصد الهامة للشـــارع اجتماع النفـــوس على طريقة واحدة، وهي ســـلوك سبيل الله بســـائر وجوده الأوامر والنواهي، ولا يتم ذلك إلّا بالتعاون والتعاضد بين أبناء النوع الإنساني[2].

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رسائل الشهيد الثاني، ص ٢٨٨.

المورد السابع: النهي عن دخول البيوت بغير إذن

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

بما أنّ البيت مقر الأسرة والعائلة وبمثابة الحجاب العام، وله حرمة لا يجوز انتهاكها، فقد حرّم الشرع الحنيف الدخول للبيت إلّا بعد الإذن من أهله والاستعداد لإدخاله لئلا يكون هتكاً لهم، وهذا واحد من الأمور التي رتب عليها العرف أثراً سلبياً يلزم منه إسقاط حرمة هذا البيت ورب هذه الأسرة، فلابد أن تكون حرمة كاملة للبيت، والدخول من دون إذن أصحابه يكون هتكاً منهياً عنه.

فللبيت حدود وحرمة في كل الأعراف الاجتماعية، ولا تختص في شريعة خاصة، نعم أضفت الشريعة الإسلامية هذا الحق وأعطته الأهمية القصوى، لأنّه ينسجم مع أهدافها ومبادئها، فالبيت يعدّ الوطن الذي يسكن فيه الإنسان ويستر حرماته وعياله، وله أن يدفاع عنه حتى الموت فيعدّ بذلك شهيداً، والذي نريد اقتطافه من هذه الآية الكريمة هو حرمة الضرر المعنوي الذي يلحق بالطرف المقابل جرّاء انتهاك حرمة أصحاب هذا البيت والدخول من غير إذن، كما سيأتي في قصة سمرة بن جندب شبيه هذا.

وأنت تعلم أنّ الضرر هنا ليس مادياً، بل هو مجرد الدخول من دون استئذان واستعلام من أصحاب البيت، إلّا أنّ فيه ضيقاً وحرجاً وهتكاً وما إليه، وهذه كلها أضرار أدبية معنوية لاحظها الشارع ونهى عنها وحرمها.

المورد الثامن: النهي عن رمي المحصنات

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

هذه الآيات الكريمة تنهى وتحذّر بشدة عن قذف المحصنات بما لا ينسجم مع المنظومة الدينية والأخلاقية والعرفية، ويلحق به العذاب والعقاب سواء في الدنيا أم في الآخرة، نعم إلّا إذا أتى بشهود على صحة دعواه لبيان حقيقة أمره، والذي يهمّنا من هذه الآيات هو إثبات حرمة الاعتداء على الغير بالأدوات والوسائل المعنوية، من قبيل اللفظ الجارح أو

(١) النور: ٢٧.

(٢) النور: ٤.

(٣) النور: ٢٣.

الضار له ولشخصيته على الصعيد الفردي أو الجماعي، وقذف المحصنات هنا هو من جملة الاعتداءات المعنوية التي نهى عنها الشارع وحرّمها ورتّب عليها الأثر؛ لأنّها اعتداء سافر على عرض الغير وعلى كرامته.

ربّما يقال أنّ هذا الحكم خاص بالمحصنات ولم يتعدّ إلى غيرها من الرجال أو غير المحصنات.

فنقول، أنّ هذا القدر كاف في إثبات حرمة الأضرار المعنوية ولو بشكل جزئي وفي المحصنة فقط؛ لأنّ المطلوب من البحث إثبات الحرمة على الضرر المعنوي كيف ما كان، لكن مع ذلك فإنّها تشمل كل موارد القذف سواء للمحصنة أم لغيرها، فإنّ الشرع الحنيف أكّد على حرمته ونهى عنه وإنّه ضرر يلحق بالغير ويحرم ارتكابه، والمحصنة هنا مصداق ومثال ليس له القابلية في حصر الوارد بشكل أعم، لاسيما إذا ضممنا ذلك مع الآيات والروايات التي تحرّم وتنهى عن الاعتداءات المعنوية على الطرف المقابل من المؤمنين.

وكيف ماكان فإنّ هذه الآيات هي من النصوص الصريحة والجلية في إثبات حرمة الأضرار المعنوية في الشريعة الإسلامية.

المورد التاسع: آيات السخرية والهمز والإفك

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ * وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ وقوله تعالى:﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ *هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾

هذه مجموعة من الآيات التي تنهى عن الإضرار بالغير، سواء عن طريق السخرية لفظاً أو عملاً أو الافتراء والكذب، وأمّا التنابز بالألقاب، جمع اللقب: وهو اسم غير الذي سمّي به الإنسان، وهو كل اسم لم يوضع له وإذا ادعى به يكرهه. وقيل: هو قول الرجل: يا كافر يا فاسق يا منافق. وقيل: هو أن يعمل إنسان شيئاً من القبيح ثمّ يتوب منه فيعير بما سلب منه. وقوله تعالى:(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) الهمزة: الطعان في الناس. واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس. وقيل: إنّ الهُمزة واللمزة بمعنى كثير الطعن على غيره بغير حق، سواء أكان في الغياب أم في الحضور، وسواء كان

باللسان أم بغيره[1].

وقيل الهمزة: الذي يغمز الناس ويستحقر الفقراء، واللمز: الذي يلوي عنقه ورأسه ويغضب إذا رأى فقيراً أو سائلاً[2].

والمهين: من المهانة بمعنى الحقارة، والمراد به حقارة الرأي، وقيل: هو المكثار في الشر، وقيل: الكذب. والهمّاز: مبالغة من الهمز، والمراد به العياب والطعان، وقيل: الطعان بالعين والإشارة، وقيل: كثير الاغتياب. النميم: السعاية والإفساد. والمشاء: نقال الحديث.

وكيف ماكان فإنّ مفردات هذه الآيات الكريمة قد تنهى بشدّة عن الإقدام على ضرر الغير سواء بالفعل أم باللفظ؛ لأنّ فيه قطع أواصر المحبة والإخوة وإيجاد الضغائن والشحناء، وكسر شخصيته وتسقطيه وتحقيره، وكل هذا ضرر يلحق به و بحيثيات الطرف المقابل والمجتمع فلم يكن ضرراً يلحق بالفرد فحسب، بل يتعدى إلى المجتمع ويهدم كل القيم الإنسانية والعلاقات الأخوية، وكل هذه الاعتداءات المنهي عنها من مصاديق الأضرار المعنوية.

ربّما يقال:

لا توجد ملازمة بين الغيبة والتجسس ونظير ذلك في الحرمة وبين عنوان الضرر بالآخر، نعم التجسس يشتمل على مفسدة وإن لم تكن تلك المفسدة ملازمة لعنوان الضرر، وأيضاً الغيبة ليس بالضرورة أن تكون حرمتها ناشئة من ضرر لحق بالغير، وإنّما عنوان هذه المحرمات من الغيبة وغيرها يختلف عن عنوان الضرر، وعليه إنّ هذه الآيات التي تنهى وتحرّم القذف والغيبة والتجسس وغير ذلك لا يستفاد منها بالملازمة إثبات حرمة الأضرار المعنوية.

(١) راجع: مصباح الفقاهه، السيد الخوئي، ج ١ ص ٤٩٩.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤١.

والجواب:

إنّ ملاكات الأحكام الشرعية بالمنظور العام ناظرة إلى المصالح والمفاسد، فتارة تكون المصلحة شديدة فيُحكم بالوجوب بخلاف ما لو كانت ضعيفة فيُحكم بالاستحباب، وهكذا في المفسدة إذا كانت شديدة يُحكم بالحرمة وفي حال ضعفها يحكم بالكراهة، نعم لا يمكن إدراك الملاكات على نحو الخصوص لكل حكم على حدة، فحرمات الغيبة والتجسس والبهتان ونظائر ذلك راجعة بأصلها إلى وجود مفسدة قد تلحق بالفرد أو الأمة، والمفسدة هي من المصاديق الجلية للضرر.

ويؤيده ما ذهب إليه قومٌ من استعمال الضرر في معنى إلحاق المفسدة بالغير، كما عن نجم الدين الطوفي، وابن حجر الهيثمي، والمناوي، والنبراوي، والحجازي، وغيرهم حيث عرّفوا الضرر«هو إلحاق مفسدة بالغير»[٣]. مع أنّ الشريعة قد أوجبت حقاً للمغتاب أو كل اعتداء متعلّق بحقوق الآخرين، ولا يسقط إلّا برضاه وتنازله، كما جاء في الحديث عن جابر وأبي سعيد، قالا: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):إياكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، إنّ الرجل يزني [ويتوب] فيتوب الله [عليه]، وإنّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه[٤].

وبعيداً جدّاً أن يصبح له حقٌ بهذا المستوى من دون تضرر وانتهاك في ذاته أو شؤونه، معنوية كانت أم مادية. لذلك فإنّ الروايات تحذّر من مصاحبة هذه الفئة من الناس؛ وذلك لئلاّ يكونوا غرضاً ومعرضاً للانتهاك والتضرر كما ورد عن الإمام علي(عليه السلام): إياك ومعاشرة متتبعي عيوب الناس، فإنّه لن يسلم مصاحبهم

(٣) أنظر: الضرر في الفقه الإسلامي، دكتور أحمد موافي، ج١ ص٨٣-٨٦.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٩ ص ١١٨.

منهم[1].

وقد يُتصيَّد هذا المعنى من عبارات العلماء في كونها ظلماً وانتهاكاً وإضراراً للطرف الآخر، كما جاء عن السيد الخوئي في حرمة سبّ المؤمن بقوله: «قد استقل العقل بحرمة سبّ المؤمن في الجملة؛ لكونه ظلماً وإيذاءً، وعلى ذلك إجماع المسلمين من غير نكير»[2].

وأمّا تعليقه على حرمة غيبة المؤمن فقد قال: «وقد حكم العقل بحرمتها أيضاً؛ لكونها ظلماً للمغتاب - بالفتح - وهتكاً له (إلى أن يقول...) وقد شبه عرض المؤمن باللحم، فإنّه ينتقص بالهتك كما ينتقص اللحم بالأكل»[3]. وغيرها من هذه العبارات التي لا يفهم منها إلّا ما نصبوا إليه في أنّ هذه العناوين التي حكم الشارع المقدّس بحرمتها وحذّر منها هي سبب للإضرار والإيذاء وما إليه.

فالحاصّل أنّ الاعتداءات المسيئة للأدب المعنوية على الغير من الأمور التي نهت عنها الشريعة وأكّدت على حرمتها كما هو صريح الآيات، وبها يثبت حرمة الأضرار المعنوية التي تلحق الطرف الآخر.

وهذه الحرمات كانت سائدة في أوساط المسلمين، وهناك أمثلة كثيرة لا يسع المقام لذكرها نكتفي بذكر واحدة منها. فقد جاءعن ابن كثير وغيره أنّ الزبرقان بن بدر شكا الحطيئة لعمر بسبب هجائه إياه بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر: ما أراه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّه لا يكون هجاء أشدّ من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هجاه ولكن سلح عليه، فعند ذلك حبسه عمر وقال: يا خبيث لأشغلنّك عن أعراض المسلمين، ثمّ شفع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه، ويقال إنّه أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقه[4].

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٩٧، دار الحديث، الطبعة الأولى.

(٢) مصباح الفقاهة، السيد الخوئي، ج١ ص٤٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٩٧.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص١٥٠.

الأَمثَالُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

الأستاذ شهيد الخطيب [1]

كلية الشريعة جامعة أهل البيت عليهم السلام

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2]

قبل السبر في المراد من هذا الأمر، لا بد من معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للمثل، فنقول:

المثل لغةً:

من المعلوم أن المعاجم اللغوية ذكرت للفظ المثل معانٍ مختلفة، سنذكر بعضها لا على سبيل الحصر: قال ابن منظور في لسان العرب (بعد ذكره لعدَّة معاني):

إنّ المثل بمعنى العبرة، و منه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾، فمعنى السلف: أنّا جعلناهم متقدمين، يتّعظُ بهم الغابرون، ومعنى قوله: (وَمَثَلًا) أي عبرة يعتبر بها المتأخرون ...

وكذلك قال في اللسان: والمثال: المقدار، وهو من الشبه [3].

وقال الجوهري في الصحاح: مثلٌ: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْلُهُ كما يقال شِبْهُهُ و شَبَهُهُ بمعنىً ....

وقال: والمثل: ما يضرب به من الأمثال، ومثل الشيء أيضاً: صفته، والمثال معروف، والجمع مُثُل، وإن شئت خفّفت ... [4].

وقال صاحب القاموس المحيط: المثل: ـ بالكسر والتحريك ـ الشبه، والجمع أمثال، والمثل ـ مُحرّكة ـ الحُجّة ـ الصفة، والمثال: المقدار والقصاص [5]. إلى غير ذلك من المعاني

وهناك أقوال كثيرة ليس بالضرورة ذكرها.

---

(١) أستاذ وخطيب وباحث اسلامي له كتابات مختلفة. وبالخصوص في علوم القرآن والفقه.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٦١٦.

(٤) أنظر: الصحاح، الجوهري، ج٥ ص١٨٦١.

(٥) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٤ ص٤٩.

ولكن الظاهر أن هذه المعاني بأجمعها من قبيل المصاديق، وليس للفظ إلا معنى واحد أو معنيين، وأما الباقي فهي صور و مصاديق لذلك المفهوم، وهذا ما ذكره ابن زكريا صاحب معجم مقاييس اللغة حيث قال: مثل: يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره.

والمثل والمثال بمعنى واحد. وربما قالوا: مثل كشبيه، تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً، قَتَلَهُ قوَداً، بمعنى أنه فعل به مثلما كان فعله ... [1].

المثل اصطلاحاً:

قال المبّرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول. والأصل فيه التشبيه

وقال ابن السكّيت: مثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره .... هذا مجمل القول في معنى المثل[2].

ومن الواضح أن طبيعة الإنسان تأنس بالمحسوس وتطمأن به، لأجل ذلك طرح أصحاب الرسالات الفكرة مع الشاهد مجسّدة بجملة من الأساليب والتي منها المثال: لما له من دور كبير في تجسيد المعاني، وتوضيح المبهم وتشخيص الغايات، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[3].

وروي عن رسول الله(صلي الله عليه وآله) قال: (فإنَّ القرآن نزل على خمسة وجوه: حلال و حرام و محكم و متشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال و دعوا الحرام واعملوا بالمحكم، ودعوا المتشابه، واعتبروا بالأمثال)[4].

الفرق بين المثل والمشابهة والمساواة

ولا بأس بالإشارة إلى مسألة أخرى وهي: الفرق بين المماثلة وبين المساواة، والفرق بين المماثلة والمشابهة، فنقول:

ذكر السيد الطباطبائي في الميزان: الفرق بين المماثلة والمساواة: إن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص. وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين.

والفرق بين المماثلة والمشابهة: هو أن المماثلة تستعمل في المتفقين في الماهيّة والواقعية، وهذا بخلاف المشابهة، فإنها تستعمل غالباً في المختلفين بالحقيقة، المتفقين في خصوصية من الخصوصيات[5].

(١) أنظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، ج٥ ص٦٩٢.

(٢) نقلا عن الأمثال في القرآن الكريم، الشيخ جعفر سبحاني، ص١١.

(٣) الاسراء: ٩٨.

(٤) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٣٥٨.

(٥) أنظر: الأمثال في القرآن الكريم، الشيخ جعفر سبحاني، ص٨.

أركان المثل

و للمثل أركان ثلاثة و هي:

الممثَّل له.

الممثَّل به.

وجه الشبه بينهما.

فالممثَّل به له قوّة تصديقية مؤثرة سواء كانت حادثة واقعة أو ظاهرة طبيعية أو فكرة معتقدًا بها. ويسري هذا العنصر سريان المسلمات في نفس الإنسان.

وأما الممثَّل له فيلزم أن يحظى بقسط عالٍ من الشأن و الأهمية، كموارد الاعتقاد و السلوك، وأحيانًا لغموض فيه يقصر بالذهن عن إدراكه و تناوله، أو لتأكيد المعنى.

و أما وجه الشبه، فيكون أسرع تأثرًا حين تكون فيه مطابقة فاعله، و سريعة بينهما.

و لضرب الأمثال جملة من الأغراض، منها: التذكر، و الوعظ، و الحث، و الزجر، و التقدير، وغير ذلك.

أقسام المثل في القرآن الكريم

الأمثال في القرآن الكريم على قسمين:

ظاهر مصرّح به. وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه، أي غير مصرّح فيه.

فمن أمثلة الأول: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً....﴾ [٦]، في هذه الآية ضرب الله للمنافقين مثلاً بالنار.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [٧]، ذكروا أن هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاءً لا ينفد به، و لا ترجى بركته، كذلك

(٦) البقرة: ١٧.

(٧) الرعد: ١٧.

يضمحل الباطل عن أهله، و كما مكث هذا الماء في الأرض و أزهرت و أخرجت نباتها، كذلك الذهب و الفضة، حيث أُدخل النار فأذهب خبثه، كذلك يبقى الحقّ لأهله. وكما اضمحلّ خبث هذا الذهب حين أُدخل النار، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾[1]، هذه الاية تتحدّث عن شخصية ابن آدم(عليه السلام) الذي قتل أخاه، و لم يعلم كيف يواريه، فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض؛ كي يدفن الغراب المقتول.

فالمماثلة هنا بين مواراة جسد الغراب و بين مواراة جسد البشر، حيث استخدمت الأداة ـ مثل ـ.

و أما القسم الثاني: و هي الأمثال الكامنة غير المصرّح بها، و هي كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2]، فهذه الآية المباركة تشبه المثل القائل ((خير الأمور أوسطها)). و منه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3]، فهذه الآية تشبه المثل القائل: ((ليس الخبز كالعيال)). و منه قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[4]، فهذه الآية تشبه المثل القائل: ((كما تدين تدان)). و منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[5]، و هذه تشبه المثل القائل: ((من جهل شيئًا عاداه)). و منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[6]، و هذه تشبه المثل القائل: ((لا تلد الحيّةُ إلا الحيّةَ)). و منها أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[7]. و هذه تشبه المثل القائل: ((لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين)).

هذا نزر يسير من الأمثال الكامنة، و هناك أنماط متنوعة أُخرى لا مجال للحديث عنها هنا. جعلنا الله من المتعضين و من الذين يسمعون القول و يتبعون أحسنه، و الحمد لله ربِّ العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد و آله الطيبين الطاهرين.

(١) المائدة: ٣١.
(٢) الفرقان: ٦٧.
(٣) البقرة: ٢٦٠.
(٤) النساء: ١٢٣.
(٥) الاحقاف: ١١.
(٦) نوح: ٢٧.
(٧) يوسف: ٦٤.

السلامُ والحربُ في المنظورِ القرآنيِ

الدكتور، السيد نذير الحسني[1]

الديـــن الإلهي بشـــرائعه المختلفة دين الرحمة والسلام والوئام، جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور من خلال مبادئ وقيم وعقائد حقّة، قائمة على أساس حفظ العباد والبلاد من الخراب والدمار.

والمتتبـــع لبعض النصـــوص الواردة في الكتب الإلهية القديمة يجد فيها ما يدل على ذلك، فقد وردت في التوراة دعوة إلى الصلح والسلام قبل الحرب جاء فيها: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح»[2].

وأمّا الشريعة الخاتمة التي جاء بها رسول المحبة والســـلام محمد بن عبد الله (عليه وعلى آله آلاف التحية والســـلام) فيكفيها أنّ اسمها قد اشـــتُق من السلام، يقول الراغب الإصفهاني: الســـلام والســـلم والتســـلم: الصلاح... ثمّ قال: «والإســـلام الدخول في السلم، وهو أن يسلم كلّ واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه»[3].

وما ورد على لسان الإمام الصادق (عليه الســـلام) خير دليل على ذلك عندما قال: «المسلم مَنْ سلم النّاس من يده ولسانه»[4].

وسنقوم بجولة في الكتاب الكريم ونصوص أهل العصمة لاســـتخراج هـــذا الأصل الهام والابتلائي في حياتنا المعاصرة.

---

(١) أستاذ وعضو هيئة علمية، وباحث ومؤلف إسلامي، وله مؤلفات كثيرة ومختلفة.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٠ ، الفقرة ١٠.

(٣) الراغب الإصفهاني: مفردات غريب الحديث، ص: ٢٤٠ ، الطبعة الاولى، دفتر نشر كتاب، قم، ١٤٠٤هـ.

(٤) الشيخ الصدوق: معاني الأخبار، ص: ٣٣٩ ، تحقيق علي أكبر الغفاري، ١٣٦١ هـ ـ ش ، انتشارات إسلامي، قم.

مبدأ السلام في القرآن الكريم

تحدّث القرآن العزيز عن مبدأ السلام والصلح والوئام بألسنة مختلفة وتعبيرات متنوعة، واتّفقت جميعها على نبْذ العنف والتّطرّف، واتّخاذ الطريق القويم، والحجج والمواعظ الحسنة، أصلاً لإثبات الحقائق والمعارف، وهذا يظهر بشكل جلي من خلال التأمل في آيات الكتاب الكريم، والتي يمكن تقسيمها على طوائف متعددة بالشكل التالي:

الطائفة الأولى:

النص على لفظ السلام والسلم، ويمكن حصر مجموعة من الآيات تحت هذه الطائفة وهي:

الآية الأولى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

الجنوح: الميل، والسلم، بفتح السين وكسرها الصلح.

والمعنى: وإن مالوا إلى الصلح والمسالمة فمِلْ إليها، وتوكّل في ذلك على الله، ولا تخف من أن تضطهدك أسباب خفية عنك على غفلة منك، وعدم تهيؤ لها، فإنّ الله هو السميع العليم لا يغفله سبب ولا يعجزه مكر...الخ»[2].

فالآية فيها دعوة إلى الميل والجنوح إلى السلم بأيّ ظرف كان، أي حتى لو كانت هناك خديعة، ممّا يبرز أهمية الصلح والسلم في الإسلام وإنّه مبدأ أساس لا تشريع آني، ففي الآيات المباركة إشارة واضحة إلى هذا المعنى، ولهذا طمأن الحق تبارك وتعالى نبيّه من الأمور التي يخفيها العدو، فقال (عزّ مَنْ قال): ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

الآية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

هناك تفسيرات متعددة للسلم، ولكن بناءً على قراءة مَنْ فتح السين «فإنّهم وجّهوا تأويلها إلى المسالمة، بمعنى: ادخلوا في الصلح والمسالمة وترك الحرب»[5]، وقال أبو علي: مَنْ قرأ بفتح السين ذهب إلى معناه: المسالمة والصلح وترك الحرب بإعطاء الجزية، ومن كسرها اختلفوا من حمله على الإسلام، ومنهم مَنْ حمله على الصلح أيضاً كما ينقل الشيخ الطوسي ذلك[6].

---

(1) سورة الأنفال: الآية ٦١.

(2) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج٩ ص١١٧، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٢هـ.

(3) سورة الأنفال: الآية ٦٢.

(4) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

(5) ابن جرير الطبري: جامع البيان: ج٢ ص٤٤٠، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

(6) الشيخ الطوسي: التبيان: ج٣ ص١٨٥، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام

الطائفة الثانية:

هناك آيات كثيرة دلّت بمعناها على إرادة الصلح والسلام والوئام، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٧).

هذه الآية فيها من الروعة في التسامح والتصالح والمسالمة ممّا لا يكاد يخفى على أحد، وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أمر للنبي(صلى الله عليه وآله) أن يدفع بالتي هي أحسن، وقيل: معنى الحسنة - ههنا - المداراة، والسيئة المراد بها الغلظة، فأدّب الله تعالى عباده بهذا الأدب، ثمّ قال: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، معناه: دار القوم ولا تغلظ عليهم حتّى كأنّ عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك من حسن عشرتك وبشرك له، ويدعو ذلك أيضاً عدوّك إلى أن يصير لك كالولي الحميم. وقيل: المراد أنّ مَنْ أساء إليك فأحسن إليه ليعود عدوّك وليّك، وكأنّه حميمك، والحميم القريب الذي يحم لغضب صاحبه(٨).

ويقول الشيخ الطبرسي: «فإنّك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة، صار عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك القريب، فكأنّه وليّك في الدين، وحميمك في النسب»(٩).

فالآية تشير إلى إقرار مبدأ اختيار أفضل الطرق لتحقيق الوئام والصلح، وترك المنافرة والمعاداة. وفي سياق هذا المبدأ جاءت آيات أُخرُ مثل قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(١٠)، قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(١١).

الآية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١٢).

الحرب والعناد والمنافرة تنبع من إحساس حالة التمييز بين قوم وقوم، والانصياع العاجل إلى هذه الحالة التي لا تورث إلّا المنازعات والاختلافات هو الذي يؤدي إلى إثارة غرائز النفس العدوانية، فالقرآن الكريم هنا يوحّد الناس بالخطاب (يا أيها الناس) ويذكّرهم بأنّ أصلهم واحد لا فضل لأحد على أحد والجميع سواسية، فهنا دعوة إلى التوحد والتراحم

الإسلامي، قم.

(٧) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٨) الشيخ الطوسي: التبيان: ج٩ ص١٢٦ ، مرجع سابق.

(٩) الشيخ الطبرسي: البيان: ج٩ ص٢٣ ، تحقيق نخبة من العلماء والمتخصصين، الطبعة الأولى، الأعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ.

(١٠) سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

(١١) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(١٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

والمواصلة، وبعبارة أخرى رغبة حقيقية في السلام والصلح. ومن ثمّ إقرار مبدأ الوحدة ومبدأ التقوى الذي لا يسمح لأحد بالعدوان على أحد واغتصاب حقوقه، فالتقوى حالة نفسانية تضع حداً لأعمال الإنسان العدوانية على الآخرين، ولعلّ الخطابات الكثيرة المبثوثة في الكتاب العزيز والتي ابتدأت (يا أيها الناس) لا تخلو من هذا المعنى، من قبيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

فيجب مراعاة التقوى لنبذ العنف والمحاربة وسفك الدماء، وركزت الآية كذلك على حرمة النسب لتكون عاملاً إضافياً من عوامل الوحدة.

فالجميع ذات أصل واحد، خلقوا من نفس واحدة، لا تحكمهم إلّا قيم الحق تبارك وتعالى.

الآية الثالثة: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

هذه الآية تبين بشكل صريح إقرار سيادة الحوار والمجادلة والحكمة والموعظة الحسنة للدفاع عن أي مبدأ أو عقيدة، وتدعوا إلى عدم اتخاذ العنف والحروب والتقاتل كوسائل لإقرار فكرة أو تطبيقها، والذي يدعوا إلى هذا النوع من الخطاب يملك مقومات الحجج والبراهين والأدلة التي لا يحتاج معها إلى قتال أو حرب لإثبات أفكاره ومنطلقاته.

وهناك آيات كثيرة تصرّح أو تلوّح بمبدأ السلام والصلح، ولعلّ افتتاح كلّ سورة بالبسملة التي تحمل الرحمة للجميع ما يكفي دليلاً على ذلك.

السلام والصلح في الروايات

المتتبع والمتأمل لألسن الروايات الواردة في أدب الحرب يجد نزوعاً واضحاً إلى تجنّب البدء بالقتال والميل إلى السلام؛ لأنّ الحرب وسيلة العاجز لإقناع الطرف المقابل، ولهذا نجد أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول: «وجدتُ المسالمة خيراً ما لم يكن وهنٌ في الإسلام أنجع من القتال»[3].

وأوصى أمير المؤمنين أصحابه بعدم البدء بالقتال، يقول عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه: أنّ علياً كانّ يأمرنا في كلّ موطن لقينا فيه معه عدواً فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة وتركهم

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص: ٥٠٦، تحقيق حسن الحسني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ش.

إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم...»[٤].

بل أوصى أمير المؤمنين أصحابه بعدم الدنوّ والتقرّب من الطرف المقابل كيلا لا يُفهم ذلك على أنّه إرادة للقتال ومحبّة للحرب، فقال: «فإذا لقيتَ العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنُ من القوم دنوّ مَنْ يريد أن ينشب الحرب»[٥].

هذه الوصايا تدلّ على أنّ الحرب لم تكن هدفاً وغاية في الإسلام، بل هي وسيلة، ويمكن التعبير عنها بأنّها المكروه الذي لابدّ من سلوكه في بعض الأحيان، وهذا واضح من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) المتقدم، بل ومن كلامه الذي يقول فيه: «فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي؛ وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها»[٦].

ويمكن استفادة هذا المبدأ من روايات الصلح والمسالمة بين الناس، فمثلاً ورد عن رسول الحق(صلى الله عليه وآله) قوله: «يا أبا أيوب، ألا أخبرك وأدلّك على صدقة يحبّها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا»[٧].

وجاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته للأشتر: «لا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك ولله فيه رضا، فإنّ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك»[٨].

وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله (عزّ وجلّ): ﴿وَقولوا لِلنّاسِ حُسْنـاً﴾: «كلّهم مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وأمّا المخالفون فبالمداراة؛ ليكف بذلك شرّهم عن نفسه وإخوانه»[٩].

وهناك الكثير من الروايات الواردة عن العترة الطاهرة ـ والذين هم عِدل القرآن ـ تحثّ على إشاعة روح المحبة والسلام والوئام بين الناس وتجنّب العنف والإرهاب وقتل الأبرياء، وما نشاهده اليوم من مظاهر عنف تنسب إلى الإسلام لم تأت من منبعه الصافي، بل جاءت من الانحرافات التي حدثت في الصدر الأول من الإسلام فأثمرت على طول التاريخ هذه المظاهر وإلى يومنا هذا.

---

(٤) ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج٤ ص٦ ، تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج١٥ ص٩٢ ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، دار إحياء الكتب العربية.

(٦) الشيخ المحمودي: نهج السعادة: ج٢ ص١٥٨ ، الطبعة الأولى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٦هـ.

(٧) الهيثمي نور الدين (ت ٨٠٧ هـ): مجمع الزائد ومنبع الفوائد: ج٢ ص٧٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٨) الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ): خصائص الأئمة، ص: ١٢٣ ، تحقيق د. محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٠٦هـ.

(٩) الفيض الكاشاني: الأصفى في تفسير القرآن: ج١ ص٤٩ ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

مبررات اللجوء إلى القتال

بعدما تبيّن أنّ الإسلام دين السلام والمحبة والصلح والوئام يتبادر إلى الأذهان سؤال هام، وهو أنّنا نجد المسلمين قد خاضوا حروباً ضروساً بوجود الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وفي غيابه أيضاً، وهناك تشريع خاص تحت عنوان باب الجهاد، وقسّموه على الدفاعي والابتدائي، ألا ينافي هذا ما تقدّم؟ خصوصاً وأنّ الجهاد الابتدائي معناه البدء بالقتال من جانب المسلمين لتحقيق مصالح حتى لو كانت سيادية، أي سيادة الحق وتشريعاته، ألا يخالف هذا حرية الإنسان وحقه في تقرير مصيره؟ ويعارض ما تقدّم من صلح واستقرار، ويعرض المجتمعات إلى الحروب والدمار؟ ولأجل حل هذا التساؤل الذي ينطلق من جعل الحرية وتقرير المصير قاعدتين أساسيتين لكلّ تشريع لابدّ من تقديم مقدّمة، وهي:

إنّ الإسلام دين عالمي، يهدف إلى تطبيق تعاليمه وأفكاره على كلّ أرجاء المعمورة من دون استثناء؛ لإيمانه المطلق بسيادة فكرة التوحيد وحقانية التشريعات الصادرة من الحق تبارك وتعالى، الخالق لهذا الكون وما فيه، فكل تشريع أو قانون وضع ولم يكن مبدأه هذه الفكرة فهو غير مؤهل لاستلام زمام المبادرة على هذه الأرض.

ولنشر هذه الأفكار وتمهيداً لسيادتها، اتبع الإسلام طريق الحجة، والبرهان، والحكمة، والموعظة الحسنة، وإن دلّ هذا على شيء فهو يدل على أنّ تلك التقنينات والتشريعات نابعة من قوة الحجة والبرهان الساطع الذي لا يحتاج حامله إلى قتال أو عنف بقدر احتياجه إلى أسلوب كلامي قادر على إيصال مطلوبه إلى مخاطبيه. ولكنّ هذا الأسلوب لم يكن ناجعاً في كلّ زمان ومكان، ومع الجميع باختلاف مشاربهم النفعية والتحجرية، فليس من الحكمة التراجع أمام هؤلاء إذا ما وقفوا ضدّ الدعوة بالمعارضة المسلحة، فلابدّ من طريق آخر لفتح المجال أمام نشر الأفكار الإلهية حتى لو كانّ ذلك اللجوء إلى القتال ولكن بشرط استنفاذ كلّ السبل الأخر، ولهذا لجأ الإسلام عند حصول تلك المبررات إلى اختيار القوة وهو المكروه الضروري الذي لابدّ منه، واختلف فقهاء الإسلام حول توقيت وظرف هذا الإختيار، فمنهم مَن ذهب إلى أنّ القوة لا يمكن استخدامها في الإسلام إلّا في صورة الاعتداء المادي الملموس من قِبل الآخرين، وبمعنى آخر حصر اختيار القوة في الجهاد الدفاعي فقط، نعم يمكن تفسير الدفاع تارةً بالاعتداء على دار الإسلام وأخرى المنع عن حرية الدعوة إلى الإسلام، فالدفاع في الأخير لنشر الفكر؛ لأنّ منعه اعتداء.

ومنهم مَن ذهب إلى أنّ القوة العسكرية هو اختيار الإسلام في كلّ وقت وعصر، وهذا ما يصعب إثباته إلّا في حالة تقييده بالمصلحة، ومنهم مَن خصص اختيار القوة في حالة وجود المعصوم(عليه السلام)، وذهب الآخر إلى أنّ اختيار القتال مقيّد بصورة إحراز الغلبة وهذا ما اختاره السيد الخوئي عندما قال: «الجهاد مع الكفار أحد أركان الدين الإسلامي، وقد تقوّى الإسلام وانتشر أمره في العالم بالجهاد مع الدعوة إلى التوحيد في ظل راية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)... ومن الطبيعي أنّ تخصيص هذا الحكم بزمان مؤقت في ضمن نصوصه الكثيرة»، ثمّ قال: «إنّ الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة وثبوته في الأعصار كافة لدى توفّر شرائطه، وهو في زمن الغيبة منوط بتشخيص المسلمين من ذوي الخبرة في الموضوع أنّ في الجهاد مصلحة للإسلام، على أساس أنّ لديهم قوة كافية، من حيث العدد والعدّة لدحرهم بشكل لا يحتمل عادةً أن يخسروا في المعركة، فإذا توفرت هذه الشرائط عندهم وجب عليهم الجهاد والمقاتلة معهم»[1].

ولسنا بصدد الدخول بتفاصيل الأقوال وأدلتها والقائلين بها؛ لعدم مناسبة المقال لهذا التفصيل، ولكنّ الذي يهمّنا أنّ القتال هو ظرف استثنائي فرضه الطرف المقابل، بل هو نتيجة لمواقفه المعادية والمتحجرة أمام أي تصحيح يطيح بالإرث القديم للآباء، فالقتال هنا يصبح طريقاً ووسيلة لإثبات حرية نشر الأفكار والمبادئ والقيم الحقة وفتح الطريق لإقامة الحجة والبرهان. فمثلاً قد تحمّل رسول الإنسانية محمد(صلى الله عليه وآله) كلّ الآلام والمصاعب في مكة، واستمر في جهاده بالحجة والبرهان، ولم يلجأ إلى القوة مع كلّ الجرائم التي ارتكبها المشركون بحقّه وحقّ أعوانه وأنصاره، وبعد ذلك كلّه نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) أنّه قال: «لم يؤمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) بقتل، ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل(عليه السلام) بهذه

(١) السيد الخوئي: منهاج الصالحين: ج١ ص٣٦٣ ـ ٣٦٦ ، طبعة قم، رقم الطبعة ٢٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٩ ـ ٤٠.

الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[1].

ويقول السيد الطباطبائي: قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ظاهر السياق أنّ المراد بقوله (أذن) إنشاء الإذن دون الإخبار عن إذن سابق، وإنّما هو أذن في القتال»[2].

وعند ذلك تجهّز رسول الله(صلى الله عليه وآله) للدفاع عن شريعة الحق (تبارك وتعالى)، ومن هذا المنطلق لابدّ من تحديد موارد الأمر بالقتال بشكل أشمل وأوسع في التشريع الإسلامي، فنقول إنّ هناك عدة موارد للأمر بالقتال في الإسلام سنتناولها تباعاً

المورد الأول: الدفاع عن النفس

كلّ كائن حي مزود بوسائل للدفاع عن وجوده في حالة تعرّضه إلى خطر الهجوم، ولم يكن الإنسان بدعاً من هذا الأمر، ولكنّ الدفاع عند الإنسان تمّ تقنينه من قبل الإسلام في حالات معيّنة يشرع له استخدام القوة فيها دفاعاً عن نفسه، فمثلاً عندما يتعرّض إلى ظلم سمح له الإسلام باستخدام القوة، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[3].

قال في الميزان: «ومن الممكن أن تكون هذه الآية نزلت في الدفاع الذي أمر به في بدر وغيرها»[4].

وهناك مصاديق أُخرُ كثيرة للدفاع عن النفس ومشروعيته في حالة تعرضها للخطر.

المورد الثاني: دفع الفتنة

أذن الإسلام في استخدام القوة لدفع الفتنة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[5].

وللفتنة مصاديق متعددة كالكفر والشرك والفساد وشياع المنكر وتفريق الأمة، وغير ذلك من المصاديق التي تؤدّي إلى هلاك البلاد والعباد، ولهذا يقول السيد الطباطبائي(رحمه الله): «يقول جلّ شأنه قاتلوهم حتى لا تكون فتنة فالقتال إنّما هو لدفع الفتنة لا لاعتناق الدين والعقيدة»[6].

المورد الثالث: قتال الباغين

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

(١) الشيخ الطوسي: التبيان: ج١ ص٤٠٧ ، مرجع سابق.

(٢) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج١ ص٣٨٤ ، مرجع سابق.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٤) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج٢ ص٦٥ ، مرجع سابق.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٦) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج٤ ص١٦٤ ، مرجع سابق.

عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّه فإنْ فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٧).

يقول الشيخ الطوسي مفسّراً للآية: «فأوجب قتال البغاة إلى حين يرجعوا إلى الحق» (٨).

ويقول الشيخ كاشف الغطاء: «البغي هو الظلم والتعدي، وكل ظالم باغي، وإعانة المظلوم على الظالم في دفع الظلم عنه فيما يتعلّق بالأعراض والنفوس واجبة على المكلفين وجوباً كفائياً فتجب المحاربة في دفعه عنها وجوباً كفائياً، مع ظنّ السلامة...» (٩).

ويقول السيد الطباطبائي: «البغي: الظلم والتعدي بغير حق، والفيء الرجوع، والمراد بأمر الله ما أمر به الله، والمعنى: فإنّ تعدّت إحدى الطائفتين على الأخرى بغير حق فقاتلوا الطائفة المتعدية حتى ترجع إلى ما أمر به الله وتنقاد لحكمه» (١٠).

ولكنّ الباغي عند الفقهاء هو: مَن خرج على إمام عادل وقاتله ومنع تسليم الحق إليه (١١).

(٧) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٨) الشيخ الطوسي: التبيان: ج٥ ص٢٤٤ ، مرجع سابق.

(٩) الشيخ جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء: ج٣ ص٤٠٢ ، الطبعة الحجرية. الناشر مهدوي. أصفهان.

(١٠) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج١٨ ص٣١٥ ، مرجع سابق.

(١١) الشيخ الطوسي: الخلاف: ج٥ ص٣٣٥ ، تحقيق سيد علي الخراساني وآخرون، مؤسسة النشر الإسلامي. قم المقدسة.

المورد الرابع: قتال المنافقين

قال تعالى: ﴿فإنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كلّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فإنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (١٢).

«ويظهر من التدبّر فيها أنّها نزلت في قوم من المشركين أظهروا الإيمان للمؤمنين ثمّ عادوا إلى مقرّهم وشاركوا المشركين في شركهم، فوقع الريب في قتالهم واختلفت أنظار المسلمين في أمرهم، فمن قائل يرى قتالهم وآخر يمنع منه ويشفع لهم لتظاهرهم بالإيمان، والله سبحانه يكتب عليهم إمّا المهاجرة أو القتال ويحذّر المؤمنين الشفاعة في حقهم» (١٣).

المورد الخامس: قتال الناكثين

قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ

(١٢) سورة النساء: الآية ٩٠ ـ ٩١.

(١٣) السيد الطباطبائي: تفسير الميزان: ج٥ ص٢٩.

وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

فالإسلام قام على أساس الفضائل والمكارم الإنسانية، واحترامها وإشاعتها بين الناس، ونهى عن الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود، وهذا ما سار عليه النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وخليفته علي(عليه السلام) وأولاده المعصومون(عليهم السلام)، والقتال في هذه الآية شرّع لمخالفة الطرف المقابل فضيلة خُلقية إنسانية وهي احترام العهود والالتزام بمواثيقها، وهذا ما حدث مع أمير المؤمنين(عليه السلام) عندما بايعه القوم ونكثوا فقال لهم: هل تجدون عَلَيَّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسمة؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تُنكث وبيعة غيري لا تُنكث؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلاّ الكفر، أو السيف، ثمّ ثنى إلى أصحابه فقال: إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم...﴾ (٢).

وفي نهاية المطاف لابدّ من القول بأنّ للإسلام نظاماً شاملاً، تكفّل بإعطاء نموذج للحياة الحرة الكريمة لكسب الدنيا والآخرة، وممّا لا شكّ فيه أنّ الإسلام قد حثّ أتباعه على تبليغ هذا النظام، والسعي إلى تطبيقه تحت قاعدة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٣).

ولكن للأسف وقف كثيرٌ من المنفعيين والانتهازيين أمام دعوة الحق، ولم يسمحوا لأنصار هذا الدين تطبيق منهجهم حتى لو كان ذلك على وفق ما يسمّى بالديمقراطية واختيار الشعب، كما حدث في الجزائر وتركيا وغيرها من بلدان العالم، بل حتى تلك الحرية المزيفة التي نادت بها الشعوب الغربية وسوّقتها سنين وسنين، لم تصمد أمام بعض التطبيقات الشخصية لمقررات الدين الإسلامي، فاليوم نرى وبشكل واضح قوانين تُسنّ في ذلك العالم لمنع حجاب المرأة وتأديتها طقوسها الإسلامية، فأين الحرية الشخصية التي ينادون بها؟

(١) سورة التوبة: الآية ١٢ ـ ١٤.

(٢) الفيض الكاشاني: التفسير الصافي: ج٢ ص٣٢٤، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، مؤسسة الهادي، قم المقدسة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

الهداية في القرآن الكريم

سماحة السيد فاضل الموسوي الجابري[1]

إنّ موضوع الهداية في القرآن الكريم من المواضيع الهامة التي لابدّ من دراستها بشكل معمّق، لا سيما وأنّ هذا الموضوع يرتبط بمصير الإنسان الكوني والذي أولاه القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، فإنّنا نجد إنّ مادة ﴿هدي﴾ واشتقاقاتها قد وردت في (٣١٦) آية قرآنية، وهذا الكم الهائل من الآيات التي تحدّثت عن الهداية ينبئنا بعظيم شأن هذا الموضوع القرآني الهام.

وكيف كان فإنّنا سوف نتحدّث عن بعض المسائل الكلية المرتبطة بهذا الموضوع، وسوف يكون البحث فيه من عدّة جهات:

الجهة الأولى: تعريف الهداية لغة واصطلاحاً

أ - تعريف الهداية لغة:

قال الفيومي: «هديته الطريق أهديه هدايةً، هذه لغة الحجاز، ولغة غيرهم يتعدّى بالحرف فيُقال: هديته إلى الطريق وللطريق، وهداه الله إلى الإيمان هدى، والهدى البيان.... الهدى: السيدة، فيقال: ما أحسن هديه، وعرف هدى أمره أيّ جهته»[2]

وقال ابن فارس: «هدى: أصلان، أحدهما التقدّم للإرشاد، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أيّ تقدّمته لأرشده، وكل متقدّم لذلك هادٍ...وينشعب عن هذا فيقال: الهدى: خلاف الضلالة....»[3].

---

(١) أستاذ، وباحث إسلامي، وله بحوث ودراسات ومؤلفات متعددة.

(٢) مصباح المنير: ٦٣٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٢/٦.

وقال بعض المحققين: إنّ أصل الواحد في المادة: هو بيان طريق الرشـــد. والتمكن من الوصول إلى الشيء، أيّ دلالة إليه.

فالهداية يقابله الضلالة، والرشاد يقابله الغي، وهو الدلالة إلى الشر والفساد، كما أنّ الرشاد هو الاهتداء إلى الخير والصلاح.

والهداية تكون في الأمور المادية، وفي الأمور المعنوية، سواء في الخير أم الشر.

فالهدايـــة المادية كمـــا في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُـــبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [1]. أيّ في معايشهم الدنيوية وأسفارهم.

ويمكن أنّ يـــراد مطلق الاهتـــداء، فإنّ الاهتداء في الســـبل بتلك الآيـــات والعلامات الظاهرية يرشد إلى توجه واهتداء معنوي.

وأمّا الاهتداء المعنوي فمثاله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [2] وقوله (عز وجل): ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [3] وأمّا الهداية إلى الشـــر فمثاله قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [4].... إلخ [5].

وقال صاحب التاج: هدي: الرشاد والدلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب. [6]

ومن خلال ما مضى تبيين أنّ الهداية تأتي للمعاني التالية:

أ ـ البيان.

ب ـ السيرة.

جـ ـ التقدم للإرشاد.

د ـ الرشد.

هـ ـ الدلالة.

و ـ الإيصال إلى المطلوب بلطف.

ب - تعريف الهداية اصطلاحاً

يمكن أنّ تعرّف الهداية بالاصطلاح الديني بعدّة تعاريف، و لا بأس بالوقوف على بعضها.

يـــرى بعضهم أنّ الهداية في الاســـتعمال الشـــرعي بمعنى: الدلالـــة إلى الحق والدعاء إليه، والإرشاد إليه والأمر به. [7]

قال الشـــيخ الطبرسي: «اعلم أنّ الهداية في القـــرآن تقع على وجـــوه أحدها: أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد، يقال: هداه الطريق، وللطريـــق، وإلى الطريق: إذا دلّه عليه، وهذا الوجه عام لجميع المكلفـــين، فإنّ الله تعالى هدى كلّ مكلّـــف إلى الحقّ، بـــأن دلّه عليه، وأرشـــده إليه؛ لأنّه كلفه الوصول إليه، فلو لم يدلّه عليـــه، لكان قد كلّفه بما لا يطيق. ويدلّ

(١) سورة النمل: ١٥.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) البقرة: ١٢٠.

(٤) الحج: ٤.

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٤٩/١١.

(٦) تاج العروس: ٣٢٧/٢٠.

(٧) تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني: ٧٥/٢.

قال الله تعالى في كتابه الكريم

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[٨]، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[٩]، وقوله: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[١٠]... الخ.

وثانيها: أن يكون بمعنى زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى، ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: شرح صدورهم، وثبتها.

وثالثها: أن يكون بمعنى الإثابة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾...

ورابعها: الحكم بالهداية، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾...

وخامسها: أن تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتديا، بأن يخلق الهداية فيه، كما يجعل الشيء متحركاً بخلق الحركة فيه. والله

(٨) النجم: ٢٣.
(٩) الإنسان: ٣.
(١٠) البقرة: ١٨٥.

تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب، فذلك هداية منه تعالى[1].

وقد عرّفهـا صاحب كتاب المعتمد بقوله: دعاء الله تعالى للخلق إلى الإيمان والطاعات والبيان لهم عن الحجج، وإقداره تعالى إياهم للإيمان والنظر في آياته وحججه[2].

وقال صاحـب العقائد النسـفية: عندنا الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب سـواء حصل الوصول والاهتداء أو لم يحصل[3].

إلى غير ذلك من التعاريف المختلفة التي يجدها المتتبع في طيات الكتب التفسـيرية أو الكلامية.

الجهة الثانية: أقسام الهداية القرآنية

يمكن إن نقسّم الهداية بحسب الاستقراء لآيات القرآن الكريم على عدّة أقسام:

منها: انقسامها إلى: التكوينية والتشريعية.

ومنها: انقسامها إلى: الايصالية والإرائية.

ومنها: انقسامها إلى: الفطرية والقولية.

ومنها: انقسامها إلى: العامّة والخاصة.

وسـوف نتحدث عـن كلّ واحدة من هذه الاقسام باختصار:

أولاً: الهداية التكوينية والتشريعية، والإرائية والايصالية

أ) الهداية التكوينية

وهي التي تتعلق بالأمور التكوينية، كهداية كلّ نوع من أنواع المصنوعات إلى كماله الذي خلق لأجله وإلى أفعاله التي كتبت له.

وهدايته كلّ شخص من أشخاص الخليقة إلى الأمر المقدر له، والأجل المضروب لوجوده، قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[5،6]

والهداية التكوينيـة إمّا أن تكون في أصل الوجود، وإمّا في كمـال الوجود. أمّا الأولى: فهي الهدايـة المطلوبة بلسـان الذات، فإنّ الأعيان الثابتـة والماهيات يطلبون بلسـان ذواتهم الهداية من ضلالة العدم ــ التي هي أشد الضلال ــ إلى دار الوجود والنور، ويرون منه تعالى الخروج مـن الظلمات الذاتية إلى النور.

وأمّا الثانية: فهـي الهداية التكوينية إلى كمـال الوجود وجماله، فهـي في نظر فاصلة لكلّ أحد، وفي نظر حاصلـة لطائفة خاصة. أمّا النظر الأوّل: فهو إنّ كلّ موجود في النظام

(١) تفسير مجمع البيان: ١/١٣٨.
(٢) المعتمد في أصول الدين.
(٣) العقائد النسفية. ١ــ٣.
(٤) طه: ٥٠.
(٥) الأعلى: ٣.
(٦) الميزان في تفسير القرآن: ٧/٣٤٦.

الأتم الإلهي ـ بالقياس إلى ذلك النظام ـ مهتد إلى ما هو لازم النظام الكلي، فلا ظلالة في المرحلة لهذه النظرة.

وأمّا النظر الثاني: فهو أنّ الاشياء ـ بحسب الحالات الفردية والشخصية ـ مختلفة الأفق، متفاوتة الدرجات والسبل، مشتتة المسالك والطرق، فمنها ما يصل إلى الغاية المقصودة، فهو المهتدي إليها، ومنها ما لا يصل إليها، فهو ضال عنها.

وهذا أمر كلّي عمومي داخل في عمومه جميع الحقائق الوجودية من قذها إلى قذيذها، ممّا يترقّب له الكمال بعد النقص، دون الوجودات الأمرية التي لا ترقب لها ولا ترقّي فيها. ولا خروج من الظلمات إلى النور. [٧]

ملحوظة: بما أنّ الهداية التكوينية تتعلق بالوجود وكمال الوجود، فهي والحال ذاك خارجة عن إرادة الإنسان واختياره أو تحصيله، ولكنّها تتوقف على ثلاثة عناصر أساسية اذا تحقّقت تحقق الوجود أو كماله، وهي وجود المقتضي ـ أي الاستعداد الذاتي ـ وتحقق الشرائط، وارتفاع الموانع. وهذه العناصر الثلاثة هي ما يطلق عليه في الاصطلاحات الفلسفية بالعلّة التامة التي لا يتخلف المعلول ـ أيّ الموجود أو كمال الوجود ـ عنها بحال.

(٧) تفسير القرآن الكريم: ٢/١٠٨.

ب - الهداية التشريعية:

وهي التي تتعلّق بالأمور التشريعية من الاعتقادات الحقّة، والأعمال الصالحة، التي وصفها الله سبحانه للأمر والنهي والبعث والزجر، ووعد على الأخذ بها ثواباً، وأوعد على تركها عقاباً. [٨]

وبعبارة أخرى: هي التي تجتبى من قبل إنزال الكتب، وإرسال الرسل والأنبياء، وتبليغ المبلغين والعلماء في كلّ عصر مصر. [٩]

وهذه الهداية التشريعية تارة تكون عامة، وأخرى تكون خاصة، أمّا الأولى فهي التي تنطبق عليها التعاريف السابقة، وأمّا الهداية التشريعية الخاصة فالمقصود منها: عناية ربانية خاصة، اختص بها الله تعالى بعض عباده حسب ما تقتضيه حكمته، فهيأ لهم ما يهتدون إلى كمالهم، ويصلون إلى مقصودهم. ولولا هذه العناية لم يحققوا ذلك الكمال الذي وصلوا إليه. قال تعالى مخاطباً نبيّه الخاتم (صلى الله عليه وآله): ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ (١٠).

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا

(٨) تفسير القرآن الكريم: ٧/٣٤٦.

(٩) تفسير القرآن الكريم: ٢/١٠٧.

(١٠) الضحى: ٧.

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً..... ﴾ [1]

فهذه الهداية تكون للأولياء باللطف والتوفيق لسلوك سبيل الخير وتحقيق الكمال كما قال (عز وجل) في شأن أهل الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً... ﴾ [2].

والهداية التشريعية عموماً تنقسم على نوعين يسمّى الأوّل: بالهداية التشريعية الإرائية. والثاني بالهداية التشريعية الإيصالية.

أولاً: الهداية التشريعية الارائية:

وهي أن يقوم الهادي بتوضيح طريق الهداية إلى المهتدي عن طريق التعليم والبيان والوعظ والإرشاد وإعطاء البينات والدلائل. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [3].

فالهداية الإرائية وضيفتها إراءة الطريق فحسب، وهذا ما يفسر لنا جملة من الآيات كقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [5] وقوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [6].

فإنّ كلّ هذه الآيات وغيرها تبين إنّ الهداية الإرائية لا تتضمّن سوى تبليغ الأحكام: قال عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [7].

ثانياً: الهداية التشريعية الايصالية:

وهي أن يقوم الهادي بإيصال المهتدي إلى الهدف المطلوب بنفسه بشكل مباشر أو غير مباشر. وهذه الهداية تتحقّق من خلال الممارسة العملية في الواقع الاجتماعي وإدارة شؤون الأمة، فإنّها الوسيلة الأساسية في تحقيق هذا النوع من الهداية، فالنبي (صلى الله عليه وآله) مثلاً لم يكن مبلغاً فحسب، وإنّما كان حاكماً قد وضع برنامجاً مستنداً إلى التعاليم الإلهية لإيصال الجماعة المؤمنة، بل وعموم الأمّة إلى الغاية، التي من أجلها قد خلقهم الله تعالى، أي تحقيق غائية الخلقة وهي الإنسان الكامل أو العبودية المطلقة لله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [8]. ولكي ينالوا بذلك الرحمة الإلهية الكبرى ﴿ إِلَّا

(١) - الانعام: ٨٩ـ٩٠.
(٢) الكهف: ١٣ـ١٤.
(٣) النساء: ٢٦.
(٤) المائدة: ٩٩.
(٥) النحل: ٨٢.
(٦) الغاشية: ٢١.
(٧) الاعراف: ٦١ـ٦٢.
(٨) الذاريات: ٥٦.

مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[9].

فالنبي (صلى الله عليه وآله) ومن بعده الإمام يقومان بعملية الهداية الإيصالية من خلال الحكم وإدارة البلاد وسوس العباد بما ينفعهم، ومن هنا نعتقد أنّ من شرائط الذي يقوم بعملية الهداية الإيصالية أن يكون معصوماً، ومهتدياً بنفسه، هداية ذاتية من الله تعالى، حتى يمكن له أن يكون هادياً لغيره، قال (عز وجل): ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[10]. حيث تدلّ الآية بظاهرها أنّ الذي يهدي إلى الحقّ والواقع الذي ليس فيه لبس وشكّ، أو شبهة أو خطأ، إنّما هو الحقّ تعالى ومَن يكون مرتبطاً به (عز وجل) ارتباطاً مباشراً، أي مسدداً من قبله، فالهداية إلى الحقّ لا تكون لكلّ من قال كلمة حقّ أو دعا بحسب الظاهر إلى الحقّ، بل الهداية إلى الحقّ أعني الإيصال إلى صريح الحقّ ومتن الواقع لا يقوم بها بحسب الواقع إلّا الله تعالى، أو لمَن اهتدى فهو قد اهتدى بالله تعالى، أو لمَن اهتدى بنفسه، أي هداه الله سبحانه من غير واسطة تتخلل بينهما، فهو قد اهتدى بالله تعالى أو هدى غيره بأمر الله سبحانه.؛ ولذا قال (عزّ وجلّ): ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[11].

فالاقتداء إنّما يكون بخصوص من هدى الله لا مطلقاً، وهذا ما أشارت إليه الآيات البينات وأعطتنا نماذج من الذين هداهم الله، فقالت: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ * وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وكانوا يعملون او أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[12].

فهذه الآيات الكريمة ترسم لنا خارطة الطريق الموصل إلى الهداية، وهو يتمثّل بالاتباع لمَن هدى الله، وهم المعصومون (عليهم السلام)، من أنبياء ورسل وأئمة، وهذا ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وآله) لبيان كلا الهداتين، الإرائية والإيصالية، وهو حديث

(٩) هود: ١/٩.

(١٠) يونس: ٣٥

(١١) الأنعام: ٩٠

(١٢) الأنعام: ٨٤ـ٩٠.

الثقلين ضمناً قال (صلى الله عليه وآله): «إنّي تارك فيكم الثقلين. كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض...»[1].

فإنّه قد أشار بأنّ كتاب الله يمثل الهداية الإرائية، وأنّ العترة الطاهرة تمثّل الهداية الإيصالية.

ملحوظة: هناك أمر آخر مرتبط بالهداية الإيصالية لا يتعلق بالهداية التشريعية، وإنّما هو من نوع الهداية التكوينية يتعلق بمقام الإمامة، حيث نجد أنّ القرآن الكريم، كلّما تعرض لمعنى الإمامة تعرّض معها لمعنى للهداية، قال تعالى في قصص إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3]. فقد وصف الإمامة بالهداية وهو وصف تعريفٌ بمعنى أنّه أشار إلى أنّ الإمام هو الذي يقوم بعملية الهداية، ثمّ قيد هذه بالأمر، فبيّن أنّ الإمامة ليست هي مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله، وأمّا ماهية هذا الأمر وحقيقته، فيمكن الاستفادة في معرفته من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4]، وقوله ((عز وجل)): ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[5]، وعالم الأمر هذا هو العالم الآخر المقابل لعالم الخلق، كما في قوله ((عز وجل)) ﴿ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

إنّ عالم الأمر هو ذلك العالم الذي تكون فيه الموجودات مجردة عن الإعارة، ويكون خروجها من العدم إلى الوجود بشكل دفعي من دون حالة منتظرة، بخلاف الوجود بشكل تدريجي، أي من القوة إلى الفعل، وعلى هذا الأساس يكون عالم الأمر خارجاً عن المادة وقوانينها، وخارجاً عن الزمان والمكان والحركة، وعلى هذا الأساس فإنّ لمقام الإمامة هداية أُخرى غير الهداية الإيصالية التشريعية، وهي الهداية الإيصالية الملكوتية الأمرية، فإنّ الإمام يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالامامة بحسب الباطن نحوُ ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إنّما هي بإيصالهم إلى المطلوب.

يقول السيّد الطباطبائي: وبالجملة فالإمام يجب إنّ يكون إنساناً ذا يقين، مكشوفاً له عالم

(١) دعائم الإسلام: ١/٢٨. الكافي: ٢/٤١٥. المعجم الصغير للطبراني: ١/١٣٥.
(٢) الانبياء: ٧٣.
(٣) السجدة: ٢٤.
(٤) يس: ١٣.
(٥) القمر: ٥٠.
(٦) الأعراف: ٥٤.

الملكوت، متحققاً لكلمات من الله سبحانه، وقد مرَّ علينا قوله تعالى ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فهو يدلّ دلالة واضحة على أنّ كلّ ما يتعلق به أمر الهداية، وهو القلوب والأعمال، فالإمام باطنه وحقيقته، والأعمال كسائر الأشياء في كونها ذات وجهين، فالإمام يحضر عنده، ويلحق به أعمال العباد، خيرها وشرها، وهو المهيمن على السبيلين جميعاً، سبيل السعادة وسبيل الشقاة [٧].

وبذلك نكون قد عرفنا الهداية التكوينية والتشريعية، وكذلك الهداية الإرائية والإيصالية.

ثانياً: الهداية الفطرية والقولية

أ - الهداية الفطرية:

وهي نوع من الهداية قد وضعها الله تعالى في فطرة الإنسان وجبلته، فهي توجد مع الإنسان من ولادته وفي ذاته، وهي لكلّ الناس من دون استثناء، وهناك جملة من الآيات الكريمات قد أشارت إلى هذه الهداية الفطرية.

منها قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [٨] أي: هَدَيْنَاه الطريقين، طريق الخير والسعادة وطريق الشر والتعاسة.

ومنها قوله (عز وجل): ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [٩] أي: سبيل السعادة والرشاد والوصول إلى الكمال.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [١٠] وعلى كلّ حال فإنّ هداية الفطرة هي التي تدعو الإنسان إلى معرفة الله تعالى، وإنّه لابدّ أن يكون لهذا العالم علّة موجدة حكيمة عليمة، وإنّ هذا العالم لابدّ أن ينتهي إلى غاية جليلة وعظيمة تتناسب مع عظمة وعلم وحكمة هذه العلّة الموجودة، وهذه الغائية يدركها الإنسان بفطرته التي أودعت في ذاته.

ومن الجدير بنا ذكره أنّ هذه الفطرة أو الهداية الفطرية تختلف ماهيّة عن الغريزة، أو الطبيعة، فإنّ الغريزة وإن كانت محركة للحيوانات نحو كمالها، وإنّ الطبيعية وإن كانت تحدد خصائص الأشياء المادية ونهديها إلى غاياتها، ربّما إنّهما لا يتمتعان بالحالة الواعية التي تستند على إدراك الأشياء وتحليلها وربط مفرداتها للخروج بنتائج معينة، بل هي طاقة محركة للحيوان أو النبات أو الجماد منّا غير أيّة عملية إدراكية واعية، بخلاف ذلك في الهداية الفطرية، فإنّها هداية واعية

(٧) الميزان في تفسير القرآن: ١/٢٧٣.
(٨) البلد: ١٠.
(٩) الإنسان: ٣.
(١٠) الروم: ٣٠.

تبتغي على أساس النظر إلى العلل والمعلولات الرياضية، أو الفلسفية، ولكن بشكل آخر غير الوارد في الاصطلاحات في تلك الادراكات.

وبعبارة أخرى: فإنّ الهداية الفطرية هي ادراكات في العقل، وهي عبارة عن انعكاسات علمية لقوانين موضوعية مستقلة. ومن هنا عدلت الحكماء إنّ الادراكات الفطرية نوعاً الادراكات التي تغذي العقل بمفردات التفكير والاستنتاج.

وإذا أردنا الرجوع إلى الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، فسوف نجدها قد طفحت لبيان هذا المعنى. حيث استدل الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللّهِ﴾ فأجاب: «فطرهم على معرفته أنه ربهم، ولو لا ذلك لم يعلموا ـ إذا ستدلوا ـ من ربهم ولا من رازقهم» [1].

ومن هنا يقول النبي (صلى الله عليه وآله): «كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنّما والداه يهودانه وينصرانه» [2].

حيث هو مفطور على معرفة الله وتوحيده، لولا التربية المفسدة والبيئة السيئة، التي تحيط به فتحرفه عن فطرة الله وتبعده عن عبادته.

فالهداية الفطرية اذاً هي تلك الهداية التي تتجه نحو المعرفة وحبّ الكمال والخير التي أُودعت في جبلّة الإنسان وذاته.

ب - الهداية القولية:

وأمّا الهداية القولية فهي تلك الهداية التي تأتي من جهة القول، أي الخطابات الإلهية على لسان أنبيائه ورسله وأوليائه، حيث يهدون الناس إلى صراط الله المستقيم من خلال بيان الحقائق الكونية كالتوحيد والمعاد، وإنّ المبدأ لهذا العالم هو الله، وإنّ لله منهجاً لابدّ أنّ يسير عليه الإنسان؛ لأنّ فيه صلاحه وفلاحه ونجاحه ووصوله إلى السعادة والكمال.

وهذه الهداية القولية لا يمكن أنّ نتوقع شمولها جميع البشر كما كان الحال في الهداية الفطرية، بل هي تعم أكثر الناس، فهي ذات صيغة أممية مجتمعية لافردية أحادية؛ ولهذا يقول السيّد الطباطبائي (رحمه الله): (وأمّا الهداية القولية وهي التي تتضمّنها الدعوة الدينية، فإنّ من شأنها أنّ تبلغ المجتمع فتكون في رضا من عقول الجماعة، فيرجع إليها من أثر الحقّ عن الباطل، وأمّا بلوغها امثال هذه المقاصد ربّما لا تساعد على ذلك، على باقي الظروف والأزمنة والبيئات من اختلاف، وكيف يمكن للإنسان أن يدعو كلّ إنسان إلى ما يريد بنفسه أو بوسائط من نوعه؟! فمن المتعذّر ذلك جداً [3].

(١) البحار: ٢٧٩/٣.

(٢) مسند أحمد: ٣٤٦/٢. صحيح البخاري: ٩٧/٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٣٣/٢٠.

ثالثاً: الهداية العامة والهداية الخاصة

أ - الهداية العامة

المقصود من الهداية العامة: هي تلك الهداية التي تعمّ جميع الموجودات من دون استثناء. وهذه الهداية هي هداية تكوينية في عالم التكوين وهداية عامة تشريعية في عالم التشريع.

فمثال الأول قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٤).

فالله تعالى أعطى كلّ موجود من موجودات هذا العالم خلقه ثمّ هداه إلى غاية وجوده من خلال السير نحو الكمال التكويني، فحبّة الحنطة هداها لأن تكون سنبلة، والنطفة هداها لأن تكون إنساناً متكاملاً، وهكذا باقي الأشياء.

وكيف كان فهذه الهداية العامّة هي هدايته تعالى كلّ شيء إلى كمال وجوده وإيصاله إلى غاية خلقته، وهي التي بها نزوع كلّ شيء إلى ما يقتضيه قوام ذاته من نشوء واستكمال وأفعال وحركات وغير ذلك (٥).

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٦).

فإنّ الله تعالى لم يخلق الموجودات فحسب، وإنّما وضع لها في مسار عالم التكوين ما تصل به إلى غاية وجودها وتحقق كمالها، فهذه هدايته العامّة التكوينيّة.

وأمّا الهداية العامّة التشريعيّة فالمقصود بها: هدايته تعالى لعموم البشر، فإذا كانت الهداية التكوينية العامّة أمراً نابعاً من ذات الشيء بما أودع الله فيه من أجهزة تسوقه إلى الخير والكمال، فالهداية التشريعية العامة عبارة عن الهداية الشاملة للموجود العاقل المدرك، المفاضه عليه بتوسط عوامل خارجة عن ذاته؛ وذلك كالأنبياء والرسل والكتب السماوية وأوصياء الرسل وخلفائهم العلماء والمصلحين، وغير ذلك من أدوات الهداية التشريعية العامّة، التي تعمّ جميع النّاس.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (٧) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٨). وقال (عزّ وجلّ): ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (٩).

ب- الهداية الخاصة

والهداية الخاصّة لا تتعلّق إلّا بالجانب التشريعي، والمقصود بها: هداية وعناية لبعض الأفراد من خلال تسديدهم من مزالق الحياة

(٤) طه: ٥٠.
(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٤/٣٢.
(٦) الأعلى: ١ـ٣.
(٧) الحديد: ٢٥.
(٨) الإسراء: ٩.
(٩) البقرة: ١٨٥.

إلى سبل النجاة وتوفيقهم للأعمال الصالحة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. وقوله ((عز وجل)): ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾[2]. والمراد بهذه الهداية الزائدة، هي بصيرة قلبية زائدة على أصل التصديق.

وهذه الهداية الخاصة تقابل الإضلال فإنّ الله تعالى يهدي مَن يشاء ويضل من يشاء. والذين يهديهم بالهداية الخاصة هم أولئك الذين حقّقوا شرائط إفاضة الهداية عليهم بخلاف غيرهم.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[3]. ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[4]. فالإنابة والجهاد في سبيله والتصديق به كلّها شرائط تؤدّي إلى إفاضة الهداية الخاصة على الإنسان. وبخلاف ذلك فإنّ الظلم والفسق والتكبر والريبة والكفر وغيرها كلّها موانع للهداية الإلهية.

وكذلك فإنّ هذه الهداية الخاصة غير الهداية بمعنى إراءة الطريق التي هي عامة للمؤمن والكافر على حد سواء، كما في قوله (تبارك وتعالى): ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[5]. فإنّ هؤلاء قد جاءهم الهدى المتمثّل بتوضيح وبيان الحق من الباطل إلّا أنّهم استحبوا العمى على الهدى فلاقوا جزاء ما اختاروا من الضلال؛ ولذلك يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[6] وقوله: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات.

كما يمكن أنْ نقول: إنّ هناك هداية أخص من الخاصة، أو هي التي ذكرناها سابقاً والمتعلقة بمقام الولاية، أيّ أولئك الذين هداهم الله هداية كاملة و توفقوا معها للعظمة والطهارة من دنس الذنوب والمعاصي، وهي التي تكون لمقام النبوة والرسالة والإمامة. مضافاً إلى مقام الولاية كما هو الحال في بعض المعصومين الذين ليس لهم إحدى تلك المقامات الثلاثة كالسيدة الزهراء والسيده مريم (عليهما السلام)، وكذا سيدنا الخضر (عليه السلام) على ما قيل، وغير أولئك الذين خصّهم الله بنور الهداية الذاتية كما أسلفنا.

(١) العنكبوت: ٢٩.
(٢) الكهف: ١٣.
(٣) الرعد: ٢٧.
(٤) الشورى: ١٣.
(٥) السجدة: ١٧.
(٦) التوبة: ١١٥.
(٧) النحل: ٣٧.

الجهة الثالثة: ارتباط الهداية مشيئة الله تعالى:

إنّ المطالع للقرآن الكريم سوف يجد أنّ الآيات التي تحدّثت عن الهداية قد ربطت في كثير من الأحيان بالمشيئة الإلهية، فقد تكرّرت هذه الجملة في العديد من الآيات وهي: ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾، وكذا في الصفة المقابلة للهداية أعني الضلال، فقد كثر قوله ((عز وجل)) ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

ومن هنا يتبادر للباحث هذا السؤال: إذا كانت الهداية والضلالة مرتبطة بالمشيئة الإلهية، فإنّ الإنسان حينئذٍ سوف يكون مسلوب الاختيار والأمر خارج عن إرادته، فكيف يسعى إليه أو كيف يمكن أنّ يكون الشخص مهتدياً مع أنّ الله تعالى تعلّقت مشيئته بضلالته، أو لم تتعلّق مشيئته بهدايته؟!

إنّ هذه الإشكالية ترتبط بمسألة الجبر والاختيار، وتأثير المشيئة الإلهية قديماً، وقد أجاب عنها العلماء منذ قرون عديدة في أبحاثهم الكلامية تفصيلياً. إلّا أنّه في الإجمال يمكن توضيح المسألة بما يلي:

أوّلاً: لا شك بأنّ الأشياء كلّها مرتبطة بمخلوق وخالق، ارتباط المعلول بعلّته، فهو الذي يفيض عليها الوجود وكمالاته في كلّ آن، آن، ولا يمكن أن تتحرك ذرة واحدة من مكانها إلّا بإذن الله ومشيئته، فهي لا تخرج عن حكومة الله التكوينية، وإلّا لأصبحت عدماً لا أثر لها ولا عين، وهذا أمر مسلم لا شك فيه، وإنّه من القضايا التي قياساتها معها ـ أي: أنّ العقل بمجرد أنّ يتصور الموضوع والمحمول والنسبة بينهما، فإنّه يحكم بثبوت المحمول للموضوع ـ وهذه المشيئة هي المشيئة الإلهية العامّة، فلابدّ أن لا يكون النظر لها؛ لأنّها لا تقتضي الجبر أو سلب اختيار الإنسان، كما هو محرر في محله.

ثانياً: وأمّا المشيئة الإلهية الخاصّة، أي: الاجتباء والإرادة الخاصّة، فهي نوع من التوفيق والعناية الربانية التي تتحقّق لأجل توفر الداعي لها، ومن دون وجود هذا الداعي لا تتعلق بالشخص المهدي، فإنّ الله تعالى حكيم، وكلّ فعل يصدر عنه لابدّ أن يخضع لهذا القانون، وكذا فهو عادل، وكل فعل يصدر منه لابدّ أنّ ينسجم مع هذا المبدأ.

فهذه الهداية لا تعني أنّ الإنسان الذي لم تشمله مسلوب الإرادة والاختيار، وإلا فكيف يحاسب ويعاقب على أمر هو مجبر عليه، وإنّما هي مجرد عناية خاصّة لأشخاص قد وفروا المقدمات التي تجعلهم مخصوصين ومؤهلين لهذه الهداية، انظر إلى الآيات الكريمات كقوله (عزّ وجلّ): ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٨]، أو قوله (عزّ وجلّ): ﴿

(٨) الزمر: ١٨.

إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [1].

فإنّ استماع القول وإتباع أحسنه شرط لإفاضة الهداية، كما أنّ الإضلال مانع من إفاضة الهداية، وأنت ترى أنّ كلاً من الشرط في الآية الأولى، والمانع في الآية الثانية، هو فعل الإنسان الاختباري، فهو الذي قام بهذا الفعل، وبالتالي هو المسؤول عن النتائج المترتبة عليه، سواء أكانت هداية أم ضلال.

وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [2]. أو قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [3] أو قوله: ﴿وَأَنَّ اللّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [4] أو قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [5] أو قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [6] أو قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [7].

فإنّ الظلم، والكفر، والخيانة، والكذب، والإسراف، والفسق، كلّها موانع لإفاضة الهداية الإلهية، وهي كما ترى فعل الإنسان الذي قام بنفسه، وبمحض إرادته، فهو المسؤول عنه وعن نتائجه، فهو واقع تحت اختباره وليس مسلوب الإختيار والإرادة فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [8] وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [9].

نسأل الله لنا ولجميع الناس الهداية والسداد والوصول إلى مقام القرب والزلفى منه، إنّه مجيب قريب.

(١) النحل: ٢٧.
(٢) المائدة: ٥١.
(٣) المائدة: ٦٧.
(٤) يوسف: ٥٢.
(٥) الزمر: ٣.
(٦) غافر: ٢٨.
(٧) المنافقون: ٦.
(٨) المزمل: ١٩.
(٩) التكوير: ٢٧ـ٢٨.

تهذيب النفس وتقييمها في القرآنِ الكريمِ

سماحة الشيخ عبدالجليل المكراني[1]

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمّد وعلى آله الطاهرين المعصومين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [2].

لم تكن هذه الآية الكريمة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحدّثنا عن النفس ومراتبها ونهايتها في الآخرة، بل إنّ هناك آيات كثيرة تتحدث عن ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [3]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [4] ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [5]. هذا بالإضافة إلى الآيات التي تدعو إلى محاسبتها ومراقبتها بغية تحقيق كمالها المطلوب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [6] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [7]، ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [8]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا

(١) أستاذ وباحث ومؤلف إسلامي سعودي، ومشرف عام على دار السيدة رقية (عليها السلام) للقرآن الكريم.

(٢) سورة الفجر: ٢٧ ـ ٣٠ .

(٣) سورة القيامة: ٢.

(٤) سورة الشمس: ٧ـ ٨ .

(٥) سورة يوسف: ٥٣

(٦) سورة الحشر: ١٨.

(٧) سورة فاطر: ٥.

(٨) سورة الانفطار: ٦ـ٧.

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (١). ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢). ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣). ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٤). ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٥).

فالنفس حقيقة مجهولة لا مثيل لها، فعلى الرغم من جميع الدراسات والبحوث النفسية وغير النفسية إلاّ أنّها ما زالت تشكّل بالنسبة للمحققين والباحثين حلقة مفقودة، وحقيقة مجهولة، فلا يوجد ما هو أقرب منها للإنسان، ولكن مع قربها فهي أجهل شيء لديه.

وعليه فإنّ هذه النفس أصبحت بمثابة اللغز أو الطلسم الذي يصعب حلّه أو فكّ رموزه وأسراره، إلاّ أنّ هذا لا يجعلها غير قابلة للتقييم والمحاسبة على ما تقوم به من أفعال تجاه الإنسان نفسه، أو ربّه، أو محيطه، فالنفس لا يحسن أن يطلق العنان لها؛ لأنّ من شأن ذلك أن يُبعد الإنسان عن هدفه وكماله المطلوب منه والمنشود لديه، الأمر الذي يجعل الإنسان بحاجة إلى معيار وميزان يزن به نفسه ويقوّمها؛ ليعرف ما تنطوي عليه من خفايا وأسرار وما تحمله بين جنباتها من قضايا لا يمكن معرفتها إلاّ من خلال بعض الطرق والوسائل التي تتيح له الاطلاع عليها عن كثب.

وخير معيار وميزان يزن الإنسان فيه نفسه هو أخوه المؤمن؛ فهو مرآته التي تكشف له كلَّ ما هو محجوبٌ عنه من حب الذات والأنا المقيتة التي تنفّر الناس من حوله وتجعله عرضة لألسنتهم وتقولاتهم، وهذا ما جاء في الحديث النبوي الشريف: (المؤمن مرآة أخيه يميط عنه الأذى)(٦)، فهو إذاً الوسيلة التي يرى فيها ما لا يراه بنفسه؛ لغفلة ما، أو لهوى يعمي القلوب ويصم الأسماع، فهو بحاجة إلى من يُحسّن له الحسن، ويقبّح منه القبيح، والمؤمن الكيس من جسَّد هذه النصيحة، وهذا ما أشار إليه أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) حينما قال: (أحبّ إخواني إليَّ مَن أهدى إليَّ عيوبي)(٧).

(١) سورة الكهف: ٤٩.
(٢) سورة الاسراء: ٣٦
(٣) سورة الاسراء: ١٣ـ١٤.
(٤) سورة الحاقة: ١٨.
(٥) سورة النبأ: ٤٠

(٦) مصادقة الأخوان، الشيخ الصدوق / ٤٢.
(٧) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني ٢ / ٦٣٩، تحف العقول.

وذلك لأنّ الإنسان يحب نفسه، ومَن أحبَّ شيئاً عمى عن عيوبه، فلا يكاد يلمح هذا الإنسان إلاّ عيبَ غيره ، وقد صدق مَن قال:

أرَى كُلَّ إنْسانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ *** وَيَعْمَى عَنِ العَيبِ الذي هو فِيهِ

ومَا خَيْرُ مَنْ تَخْفى عَلَيهِ عُيُوبُهُ *** وَيَبدُو لَهُ العَيبُ الَّذِي لأخِيهِ

وَكَيْفَ أرَى عَيْباً وَعَيْبِيَ ظاهرٌ *** وَمَا يعرِفُ السوءآتِ غَيرُ سَفيهِ[٨]

وعلى هذا الأساس فقد عُدَّ تقييم النفس ومحاسبتها من أهمّ القواعد في عملية البناء الذاتي للنفس الإنسانية بناءً إيجابياً، وأفضل سبيل في التدرج على سلّم الكمال حتّى ينتهي به المطاف إلى بلوغ الدرجات والمراتب العُلا في الدارين، حياته الدنيوية وحياته الأُخروية.

ولا شك أنّ هذا الأمر بحدّ ذاته يشكّل عائقاً صعباً ومهمة معقدة، تحتاج في تجاوز عقباتها ودوام العمل عليها واستمرارها إلى معين ومرشد يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط السوي حتّى يحقق له السعادة الكبرى، ويوصله إلى برّ الأمان وشاطئ الاطمئنان، فيروي بذلك عطشه النفسي والروحي، وحينها تسكن نفسه وتتخلص من براثن الخوف وهواجس التيه والضياع، فلا عامل ضاغط ولا أمر مؤرّق.

ابن شعبة الحرّاني / ٣٦٦ .

(٨) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي .

والإسلام باعتباره المنهج الإلهي في تربية النفوس وصياغتها صياغة أخلاقية طاهرة، فإنّه أصدق السبل وأضمنها في الوصول لذلك الهدف السامي والنبيل. والإنسان المؤمن في تمسّكه بنهج الدين القويم يبدّد المخاوف والهواجس كافة، من الإخفاقات والوُهُن النفسية التي يحتمل أن تصيبه في أثناء الجدّ في طريق التقييم للنفس. وبالإسلام الصحيح والإيمان الراسخ يرقى إلى الكمال الإلهي؛ لأنّه هو الضامن الوحيد له في الوصول إلى هذا الرقي والكمال عند جد السير والطلب بنفسٍ مطمئنةٍ في هذه الحياة.

وكيف كان فحينما نتأمّل في التعاليم الأخلاقية والتربوية التي وضعها الإسلام ودعا أتباعه للسير عليها، نجد أنّه قد وضع الخطوات والطرق التالية في مسار تقييم النفس ووزنها بالميزان الواقعي الصحيح:

أولاً: تنمية الضمير

الضمير هو مصدر التكوين الوجداني والعاطفي للإنسان، كما أنّه يمثّل الرادع الداخلي له الذي يقدّر ما هو حسن عمّا هو قبيح، بل هو الأداة التي تحرك الإنسان وتحدد سلوكه الخارجي، فيساعد الإنسان على اتخاذ الخطوات والقرارات الصحيحة، والتخلّي عن كلّ ما هو مخالف للقواعد الصالحة والضوابط الاجتماعية السليمة.

فالضمير هو المحرك الذي يدفع الإنسان إلى أداء سلوك معين، أو ردعه عن سلوك ما، فهو الواعظ والرقيب الذي يردع الإنسان عن القبيح ويدفعه إلى العمل الحسن الصالح.

قال الإمام الباقر(عليه السلام): (مَن لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً)[1]، وبهذا القول يريد أن يبيّن لنا أهمية دور الرقابة والعوامل الداخلية للإنسان على سلوكه وتحديد أفعاله، وأنّ الذي يفقد هذه العصمة والمناعة النفسية، فإنّ الآخرين وما يحيط به من قضايا وأُمور خارجية لا يمكن لها أن تؤثّر في استقامته واتّزانه، بل هي إلى البعد السلبي أقرب منها تأثيراً إلى البعد الإيجابي، بل قد يخرجه فقدان العصمة والمناعة النفسية من دائرة الإيمان إلى دائرة اتّباع هوى النفس والشيطان، كما جاء ذلك عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) في بيان صفات المؤمن وما ينبغي له وما لا يستغني عنه، حيث قال: (لا يستغني المؤمن عن خصلة، وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله (عزّ وجلّ)، وواعظ من نفسه، وقبول ممّن ينصح)[2].

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام):

(١) تحف العقول ، ابن شعبة الحرّاني / ٢١٤ .

(٢) المحاسن ، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ٢ / ٦٠٤ .

(ابـن آدم، إنّك لا تزال بخـير ما كان لك واعظٌ من نفسك، وما كانت المحاسبة لها من همّك، وما كان الخوفُ لك شعاراً، والحزنُ لك دثاراً)[٣].

فالتركيز على العامل الداخلي والنفسي لحسابات الربح والخسارة والفوز والنجاح في ارتقاء النفس وتكاملها، يعطي للإنسان القوة المحرّكة في موازنة الأشياء وتصحيحها متى احتاجت إلى ذلك.

وهنا تساؤل: يا تُرى ماذا تعني تنمية الضمير، في حين أنّه تعبير يستخدم في الأشياء المادية المحسوسة وليس في المعنويات والأخلاقيات؟

لكنّ المعنى يتجلّى إذا التفتنا إلى حقيقة أنّ البعد المعنوي والوجداني في الإنسان يشتدّ ويترقّى مع التفاعل بالظروف التي تحيط بحياته، ويتأثّر بالسلوك الخارجي والمؤثرات النفسية.

وعليه فالضمير في عملية تكوين مستمر ودائم، والفلاسفة المسلمون يطرحون هذا المعنى في بحث مسألة (الحركة الجوهرية)، وهي من المبادئ المعرفية في بنية الفلسفة الأخلاقية في الإسلام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحركة الدؤوبة في الباطن الإنساني النفسي للإنسان لا تتخذ دائماً مساراً إيجابياً، بل إنّ ذلك يرجع للمقدمات المحرّكة والفاعلة في وجود ذلك الإنسان. فالإنسان المنحرف في مسيره الوجودي عن طريق الفطرة الإنسانية يسير نحو التسافل الذي يقوده إلى الانحطاط والنكسة الأخلاقية.

فإذا أخذنا ـ مثلاً ـ شخصية الرجل الطاغية فإنّنا نجد أنّه يموت فيها الضمير وينعدم بشكل نهائي، بمعنى عدم فاعلية ورادعية هذا الضمير الإنساني فيها. نجد أنّها تترفع بجهلها عن عملية التقييم والتقويم للنفس.

ويبدو كلُّ شيء في شخصية هذا الطاغية كاملاً وعظيماً ومقدّساً، على العكس من الإنسان المستقيم في فطرته ونوازعه النفسية.

إذاً، إنّ الضمير الإنساني ينمو باتجاه الاستقامة من خلال التربية المتواصلة والتوجيه الدائم والدؤوب، ومن أساليبها ملاحظة القدوة الحسنة في سلوكها وممارساتها، فاعتراف الكبار بالخطأ الذي يرتكبونه يقوّي في أعماق الطفل القدرة على ضبط سلوكه وسيرته مثلاً.

وهكذا عندما نأتي للكبار في ميدان المجتمع من الرموز الاجتماعية والدينية وغيرها، فإنّ سلوكهم وأفعالهم تمثّل موجّهات وتعزيزات نفسية غير مباشرة للآخرين.

إنّ الضمير الإنساني يحتاج إلى محرّكات تدفعه نحو تحفيز الذات، ومن أهمّ هذه

(٣) الأمالي ، محمد بن محمد بن النعمان المفيد / ١١٠ .

المحركات وجود القدوة الصالحة التي تتيح للفرد من خلال سلوكها مراجعة الذات وتقييمها، فالإنسان مجبول على تقليد واقتفاء أثر مَن يعدّه مقدّساً ومحترماً ومتكاملاً في سلوكه وعقله وأخلاقه.

ثانياً: إثارة الوجدان

الوجدان هو التعبير الآخر عن الضمير الإنساني المركوز في فطرة الإنسان التي أودعها الله فيه، لكنّ هذا الوجدان يختلف عن الضمير؛ إذ نقصد بالضمير القوة المحرّكة للمشاعر الإنسانية، فهو إذاً الأداة لمعرفة المشاعرة الصادقة والإحساسات الإنسانية الحقّة، ونقصد بالوجدان هنا الإحساس الصادق والملموس الذي يقود الإنسان لاتخاذ موقف معيّن إيجاباً أو سلباً، قبولاً أو رفضاً.

وعندما يتأمّل الإنسان في سلوك اجتماعي معيّن ويخضعه للوجدان من ناحية أخلاقية، فإنّه يتوصّل لحقيقة هذا السلوك، وهل هو في جانب الخير أم في جانب الشر؟

وكيف كان ففي بعض الآيات القرآنية إشارات واضحة إلى دور الوجدان في تنبيه الإنسان وردعه عن الغي والزلل الذي يقع فيه، وهذا ما نجده جلياً ضمن إشارة جميلة يعبّر فيها القرآن الكريم عن الوجدان بالنفس اللوامة، وعملية اللوم يتحقق فيها العتاب على ارتكاب الخطأ والتأنيب على ذلك. قال تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (١).

قال أستاذنا الشيخ مكارم الشيرازي: (وأمّا ما يراد بـ (النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ...) هو أنّها «الوجدان الأخلاقي» الذي يلوم الإنسان في الدنيا على المعصية ويحفّزه على إصلاح ما بدا منه. والتفسير الآخر هو أنّ المراد بالنفس الإنسانية بصورة عامة التي تلوم صاحبها يوم القيامة، فإذا كان مؤمناً فإنّها تلومه على عدم الإكثار من الصالحات وعلى قلّة الطاعة، وإن كان كافراً فإنّها تلومه على كفره وشركه وفجوره)(٢).

وقال في موضع آخر وهو يبيّن مراتب النفس ومراحل تكوينها: (المرحلة الثانية: النفس اللوامة، وهي التي ترتقي بالإنسان بعد التعلم والتربية والمجاهدة، وفي هذه المرحلة ربّما يُخطئ الإنسان نتيجة طغيان الغرائز، لكن سرعان ما يندم وتلومه هذه النفس، ويصمّم على تجاوز هذا الخطأ والتعويض عنه، ويغسل قلبه وروحه بماء التوبة.

وبعبارة أخرى: في المواجهة بين النفس والعقل قد ينتصر العقل أحياناً وقد تنتصر النفس، إلاّ أنّ النتيجة والكفّة الراجحة هي

---

(١) سورة القيامة / ٢ .

(٢) الأمثل في تفسير الكتاب المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٩ / ٢٠٣ .

للعقل والإيمان. ومن أجل الوصول إلى هذه المرحلة لا بدّ من الجهاد الأكبر، والتمرين الكافي، والتربية في مدرسة الأستاذ، والاستلهام من كلام الله وسنن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) . وهذه المرحلة هي التي أقسم الله بها في سورة القيامة قسماً يدلّ على عظمتها: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٣].

ويتأكّد هذا الوجدان مع ملاحظة الأشياء الفعلية التي تساعد معرفتها والتأمّل فيها إثارة الوجدان وتحفيزه لإجبار الإنسان اتّخاذ السلوك الإيجابي، فإذا عرفنا أنّ إدراك الفرد لحقائق السنن التي تتحكّم في العلاقات والمسيرة الاجتماعية وآثارها الإيجابية والسلبية تسهم في تجنّب المويقات والتوجّه للكمال والسمو، وهو سلوك من شأنه أن يساعد بشكل كبير على تجنّب الأخطاء ومفارقة السلوكيات المنحرفة والفاسدة.

وعلى سبيل المثال فإنّ واحدة من السنن المؤثّرة في الوجدان الإنساني سنّة الصيانة والحفظ لكرامة الآخرين في شخصياتهم وأعراضهم امتثالاً للتعاليم الدينية، فقد أكدت النصوص مبيّنة هذه السنّة الجارية في المحيط الاجتماعي والأخلاقي، فاحترام الأبعاد المعنوية والشخصية للآخرين والإعراض عن التمزيق الأخلاقي والاجتماعي يكسب الإنسان صيانة اجتماعية وأخلاقية؛ فإنّ مَن صان نفسه عن التعرّض للآخرين والحفاظ على حرماتهم الأخلاقية والاجتماعية، فالمردود الإيجابي يعود على الإنسان نفسه. وهذا من الأصول والتعاليم الأساسية في الأخلاق الدينية.

فالسلوك الأخلاقي بحسب النظرة الدينية لا يحمل الحسن الذاتي والأخلاقي فقط، بل

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٧ / ٢٣٣ .

إنّه يعكس آثاراً تكوينية إيجابية انسجاماً مع الإرادة الإلهية، والتي هي المصدر الأعلى للإلهام في السلوك المتكامل.

لقد تحدّثت النصوص الدينية عن الآثار التكوينية لسلوكيات الإنسان وأفعاله، وعدّت ذلك من اليقينيّات والقطعيات في الرؤية الدينية على الإنسان ، فالقرآن الكريم يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1].

مع أنّ هناك الكثيراً من الآيات القرآنية والقصص التي وردت عن أهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام) قد بيّنت دور إثارة الوجدان في التوبة والاستغفار، كما بيّنت تأثير ذلك في تجنّب الانحراف والآثار المترتّبة عليه التي تتحقق بإحداث الأسباب؛ فالمنحرف عن الطريق يشارك في تهيئة أجواء الانحراف لذويه ويكون أقل مراقبة لهم، إضافة إلى تأثّرهم بسلوكه.

ثالثاً: التقييم الذاتي ومحاسبة النفس

إنّ التقييم الذاتي للنفس عمل هام به يتعرّف الإنسان على صفاته وقدراته العقلية والعاطفية والخلقية، ويرى من خلاله عوامل القوة والضعف، ومعرفة العوائق نحو التقدّم والتفكر بها، ولهذا التقييم الأثر الأكبر في تعيين السلوك ومستوى الطموح؛ لذا أكّد علماء النفس على (أنّ فكرة المرء عن نفسه هي التي توجّهه في اختيار أعماله وأصدقائه وزوجته ومهنته وملابسه، كما تُسهم في رسم مستوى طموحه، وهي التي تبيّن له ضروب السلوك التي هو جدير بها، وتكفّه عن فعل ما يمس احترامه لنفسه)[2].

وقد أكّدت الروايات أهمية معرفة النفس ومعرفة قدرها وطاقاتها، ومعرفة درجة قربها وبعدها من الاستقامة والصلاح.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الخير كلّه في من عرف قدر نفسه، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدر نفسه)[3]. وقال (عليه السلام) أيضاً: (ما هلك امرؤٌ عرف قدره)[4].

ولا شك أنّ معرفة النفس واكتشاف الذات بحجمها مقدمة لإصلاحها ونقدها، ومع المعرفة والنقد تتم عملية التقييم للذات ونفس الإنسان، على أنّ ذلك يكمن في معرفة عيوبها ونقصها ونقاط الضعف فيها، وهي ظاهرة إيجابية وصحّية، فمن خلال معرفة عيوب النفس ينشغل الإنسان عن عيوب غيره، ويتوجّه إلى إصلاح عيوبه بالطرق والأساليب المختلفة، ويتعاون مع غيره إن عجز بمفرده.

(١) سورة الزلزلة / ٧ ـ ٨ .

(٢) أصول علم النفس / ١٢٦ .

(٣) الإرشاد ، الشيخ المفيد ١ / ٢٣١ .

(٤) الأمالي ، الشيخ الصدوق / ٥٣٢ ، ٧١٨ .

وقد دلّت الروايات على الآثار الإيجابية لذلك، وهذا ما نجده واضحاً وجليّاً في كلام الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): (مَن نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره)[5].

وقال الإمام الصادق(عليه السلام): (أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه)[6].

وعليه فالنظر في سلبيات الآخرين يدخل الإنسان في دوامة النقد والانتقاص من الآخر، كما أنّه يستغرق في حالة العمى في البصيرة والوجدان وهو لا يشعر بذلك.

إنّ بعض الناس يعيشون عقدة تضخّم الذات وعقدةً في تكاملها؛ فلذا يصنعون هالة من القداسة على شخصيّتهم وسلوكهم، وكل ما يتعلق بهم، وهذا من علائم المرض الأخلاقي والروحي الذي يعيشه هذا الإنسان.

ويتفاعل هذا الوهم في اللاشعور عندما يكفّ الإنسان عن المراجعة والنقد ـ ولو اليسير ـ لذاته ونفسه وأفعالها.

إنّ النظرة الدينية في عملية تقييم نفس الإنسان تقوم على جعل المُثل الإلهية والكمالات الربّانية المحركة لوجود الإنسان، فتقييم النفس يكون في مقابل الكمال المطلق، وهو الله (جلَّ وعلا) الذي لا حدود له في كل الأشياء، بمعنى أنّ الفرد المسلم في التعاليم الإسلاميّة يسعى في حركة دائمة للتقرّب من اكتساب الفضائل والكمالات المعنوية المطلوبة منه تعالى، وهو منبع كل هذه الأخلاق ومصدرها.

فقد روي: (تخلّقوا بأخلاق الله)[7]، وبهذا النظر فإنّ الإنسان يكتسب الكمال والشرف والرفعة بقدر ارتباطه بالله تعالى، مصدر كل الكمالات البشرية، وهذا هو الجانب الصادق والمشرق في الحياة المعنوية للإنسان، ولعلّ هذا من أهم الأُمور في التقييم الذاتي.

كما أنّه في الجانب الآخر عندما يريد أن يقيّم عملية التقييم ومعرفة الذات، فليعلم أنّه خلق من النقص المطلق والضعف المطلق في بعده المادي والتكويني، وهذه المعرفة هي التي تقود الإنسان إلى رؤية واقعية للنفس وتقييمها بالشكل الجيد، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين (عليه السلام) وبيّنه في دعاء عرفة: (ابتدعتَ خَلْقي من منيّ يُمْنَى، ثمّ أسكنْتَني في ظلمات ثلاث، بين لحم وجلدٍ ودم، ولم تشهرني بخُلُقي، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري، ثمّ أخرجتَني إلى الدنيا تامّاً سويّاً، وحفظْتَني في المهد طفلاً صبيّاً، ورزقْتَني من الغذاء لَبَناً مَرِيّاً، وعطفتَ عليّ قلوبَ الحواضِن، وكفّلتَني

---

(5) نهج البلاغة / ٧٢٧، الحكمة ٣٤٩.
(6) تحف العقول، ابن شعبة الحراني / ٣٦٦.
(7) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي ٥٨ / ١٢٩.

الأمّهات الرحائم...)[1].

أي أنّ الإنسان خُلق من أمور وضيعة ومتسافلة جداً، ولكن برحمته تعالى لم يظهرها للخلق في ابتداء خلقه، فماذا يريد الإنسان إذا ما عرف قدر نفسه؟ فإنّه مهما فعل وكافح فلا بدّ له من الانتهاء، ولا بدّ له من القبر حتّى لو كان له ما كان لنبي الله سليمان (عليه السلام) من العظمة والملك، وعليه فينبغي للإنسان معرفة نفسه ومعرفة عيوبه والاشتغال بها.

طرق معرفة عيوب الذات

لا بدّ لنا من معرفة عيوب أنفسنا حتّى نتمكّن من علاجها والقضاء عليها؛ لأنّ الداء إذا ما عُرف عُرف الدواء. وهناك طرق عديدة يمكن لنا من خلالها معرفة عيوبنا وسلبياتنا ومن ثَمَّ تشخيص الدواء الناجع لها، وهي:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب والسنّة

إنّ مصدر ثقافتنا ومعرفتنا الأخلاقية والتربوية هي من كتاب الله وسنة نبيّه والأئمة الطاهرين من آله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهذان المصدران بالنسبة للمسلم هما عين المعرفة الصافية التي لا تنضب ولا تجف أبداً.

كما أنّهما خير رافد في تهذيب الإنسان للاطّلاع على خفايا النفس وبواطنها؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم هو الكلام الإلهي الذي لا يصدر إلاّ عن علاّم الغيوب وخالق الإنسان ومدبّر شؤونه، فهو العالم بما يصلحه وما يضره.

والسنّة هي ترجمان الوحي الإلهي، وهي الامتداد لتعاليم السماء في أقوال النبي (صلّى الله عليه وآله) وأفعاله وتقريره.

وإنّنا نرى الآن أنّ المدارس الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية قد عجزت عن إعطاء صورة واضحة ودقيقة حول نفس الإنسان، كما أنّها أخفقت في إرساء النهج الصحيح للبناء النفسي السليم بما ينسجم مع المُثل والقيم الإنسانيّة الصحيحة.

والمصدر الإلهي هو المنشأ الوحيد الذي يمكن أن يلجأ إليه الإنسان بكلّ اطمئنان وصدق للاطّلاع على ما يلوّث النفس من عيوب وآفات، وما يدنسها من سلوك وأفعال.

قال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُـلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

فالقرآن هو الدواء الناجع لنفوسنا وأرواحنا في آلامها وأحزانها، وهو البلسم والشفاء لعيوبنا ولِمَا نعانيه من أمراض روحية

(١) إقبال الأعمال، الصدوق / ٦٥٢.

(٢) سورة يونس / ٥٧ ـ ٥٨.

ونفسية.

هذا وقد حدّثنا القرآن الكريم في قصص متعددة عن أشخاص وقعوا في أتون الانحطاط والرذيلة، وذلك بسبب ابتعادهم عن عملية تقويم الذات ومراجعتها، فإنّ بلعم بن باعورا الذي بلغ مبلغاً عظيماً في العلم والمعرفة، وحاز على المنزلة الاجتماعية المرموقة، قد أخذته العزة بالإثم، وغرّته الأهواء، فكان قرين فرعون.

وقد انتهج ابن باعورا هذا طريق الانحراف بعد أن أكرمه الله بآياته، لكنّه أخلد إلى الأرض وركن إلى نفسه وأهوائه وأمانيه الضالة، فلم يكن بمستوى الارتقاء للمعاني السامية والأجواء المعنوية التي تحملها الآيات الإلهية.

إنّ مشكلة ابن باعورا هي في ذاته ونفسه، وهذا ما صرّح به الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

إنّ التفكر في هذه التجربة البائسة لهذا الإنسان التي يتلوها علينا القرآن الكريم لهي موعظة بليغة، ودرس كبير يدعونا للتدبّر في معانيه، وعليه فحري بالإنسان وهو يبحث عن

(٣) سورة الأعراف / ١٧٥ ـ ١٧٦.

معرفة الأخطاء أن يرجع لكتاب الله وسنة نبيه الأكـرم (صلّى الله عليه وآلـه)، وما جاء في الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فيعرف الفضائل من الرذائل، والمحاسن من المساوئ، والايجابيات من السلبيات، ثمَّ يطبق ذلك على نفسه ويبدأ بها قبل غيرها.

كما أنّ في السيرة النبوية الشريفة وسيرة الآل المعصومين(عليهم السلام) دلائل منيرة في طريق هداية النفـس وتهذيبها، فما أروع نبينا(صلى الله عليه وآله) وهو يرسم لنا لوحة مـن النُّبل والخُلق الإلهي، وذلك حينما يدخل أحدهم مجلسه قائلاً: أيّكم محمّد؟ وذلك بعد أن عجز عن معرفته(صلى الله عليه وآله) من بين الجالسين!

ويروى عن أبي مسـعود أنّـه قال: أتى النبيَّ(صلـى الله عليه وآله) رجـلٌ فكلّمه، فجعـل ترعد فرائصه، فقال له: (هوّن عليك؛ فإنّي لسـت بملك، إنّما أنا ابـن امرأة تأكل القديد)[1].

إنّها النفـس الكبيرة والخُلق الكبير الذي يقف عنده أصحـاب الضمائر الحيّة؛ ليعلنوا إيمانهم برسـالة محمّد(صلى الله عليه وآله) ودينه العظيم الذي يُعرّف الإنسـان بإنسانيّته وقيمه.

(1) سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ٢ / ١١٠١ .

٢ ـ الصديق الناصح

إنّ للصديق أو الصاحب دوراً هامّاً في رسم شخصية صديقه وقرينه، حتّى أنّه روي في هذا المضمار: (إنّ المرءَ على دين خليله)[2].

وقد حدّثنـا القرآن الكريم عن صديقين كانا في هذه الحياة الدنيا، إلاّ أنّ أحدهما كان من المؤمنين والآخر من المكذّبين، فلمّا ارتحلا إلى عالم الآخرة افتقد المؤمن صديقه، فسأل عنه فوجده في سَوَاءِ الجحيم، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَـاءَلُونَ * قَالَ قَائِـلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِـي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُـونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَـوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[3].

إذاً فاختيار الصديق مـن الأمور الهامّة والحسّاسة في بناء شخصية الإنسان والحفاظ على اتّزانها وتوجهها، والقرين الصدوق خير معين للإنسـان في اكتشاف أخطائه وسلبياته التي قد يمارسها وهو لا يشعر بها.

وانطلاقاً من الصدق والأمانة والإخلاص في الصحبة والعلاقة فإنّ الصديق لا بدّ له من أن يحرص كلَّ الحـرص على كرامة صديقه وخليله في سلوكه وأقواله، وفي تقديم النصيحة

(2) الكافي ، الشيخ الكليني ٢ / ٣٧٥ .
(3) سورة الصافات / ٥٠ ـ ٥٧ .

والإرشاد له.

إنّنا نلاحظ في بعض العلاقات الاجتماعية المعروفة في مجتمعاتنا أنّ الصديق يأخذ دور المشير والناقد، بل قد يتقمّص شخصية صديقه،فيبدو هو صاحب الكلمة في مواقفه وقراراته، وتصبح تلك الصحبة قويةً وحميمةً وصادقةً، ولكن بشرط أن تتأطّر هذه العلاقة بالأطر الصحيحة والسليمة، وأن لا تتجاوز الحدود الموضوعة والمقـرّرة لها؛ لأنّ هناك الكثيراً من أصحاب المراكز الاجتماعية المرموقة والمؤثّرة في محيطها وأجوائها تصادر مواقفها وآراءها ودورها في المجتمع، بسبب علاقات بعض المقرّبين غير الأوفياء والناصحين غير الصادقين.

ومن هنا تأتي أهمّية اختيار الصديق الذي يكون موضع أمانة وصدق في نصحه واستشارته وآرائه، وعليه فلا بدّ للإنسان أن يطلب صديقاً أميناً صدوقاً بصيراً متديّناً، فينصبه رقيباً على نفسه؛ ليلاحظ أحواله وأفعاله، وتحركاته وتصرفاته، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) كما أسلفنا: (أحبّ إخواني إليَّ مَن أهدى إليَّ عيوبي)[٤].

وهنا نودّ أن نشير إلى مسألة هامّة، وهي كيفية إرشاد الصديق لصديقه.

وبعبارة أخرى: كيف يكون الصديق مرآةً لصديقه بحيث يعكس له ما يكنّه ويحمله، وفي الوقت نفسه يكون أداةً مقوّمة لبنائه وتكامله؟

إنّ الطريقة الناجعة في تقييم الصديق تقويمه وإلفاته إلى أخطائه وعيوبه تكمن في أمرين أساسيين:

أ ـ نصحُ الصديق لصديقه في السرّ.

ب ـ عدم التعرض لنقده علانية .

ربّما يمارس بعض الأشخاص عملية النصح أو النقد بصورة علنية وأمام أعين الناس وأسماعهم، وهي طريقة تثير العداء والبغضاء والشحناء في بعض أساليبها؛ وذلك إذا كان الناصح أو الناقد لا يحسن إثارة الموضوع بشكل جيد ومدروس، الأمر الذي قد يسبب هدم شخصية الآخر أو المساس بكرامته، وعليه فإنّ النصح أو النقد لا بدّ وأن يكون سرّاً وخفية دون أن يشعر بذلك الآخرون، وهذا ما أكّدته الروايات وأشارت إليه الأحاديث[٥].

وبما أنّ الإنسان دائماً يعتزّ بنفسه ورأيه، فإنّه لا يتنازل عن رأيه إلاّ إذا تيقن واطمأنّ بأنّ الناصح له مخلص، وما يبغي من وراء نصحه هذا إلاّ الخير والصلاح، وهذا ما يحفظ له كرامته وعزّته.

(٤) الكافي ٢ / ٦٣٩ . تحف العقول / ٣٦٦ .

(٥) تجدر الإشارة إلى أنّ الروايات قد استعملت مصطلح النصيحة الذي يوحي بالود وإخلاص النصح .

٣ـ الاستفادة من ألسنة الخصوم والأعداء

من الأمور المفيدة في معرفة العيوب، والتي لعلّها أقوى انتفاعاً للإنسان من الصديق الذي يثني على صاحبه ويمدحه، بل ربّما يخفي عليه عيوبه لمصالحه الخاصة، هو الانتفاع من الخصوم والأعداء؛ وذلك لأنّهم دائماً يتربصون به الدوائر، ويتصيدون منه الخطأ والزلل، ثمّ يأخذون بنشرها وإظهارها أمام الجميع. فلكي لا يقع الإنسان في مصيدة أعدائه وشراكهم تجده دائماً مراقباً لنفسه، محاسباً إيّاها قبل أن يحاسبها خصومه ومناوئوه، وبهذه الطريقة ينجي نفسه من الوقوع في مهالك الذنوب والمعاصي، فيحضى برضا الله تعالى ورضا الناس ونفسه.

وكيف كان فإنّ محاسبة النفس هي التي تحرك العقل، وبها تُصان النفس؛ لأنّ كلَّ خطأ يرتكبه الإنسان يُكتب على صفحة من قلبه، فيُغلق منفذٌ من منافذ نور العقل، فإذا حاسبها وأصلح المرء نفسه أضاء العقل، وتوهّج بالنور والمعرفة؛ ولذلك فإنّ أصحاب القلب السليم لا تحصل لهم هذه الحالة اعتباطاً، بل هي نتيجة لمجاهدات نفسية لميلان هذه النفس نحو الهوى، ومعاقبتها على ارتكابها للأفعال السيئة؛ لأنّ الاستمرار مع الخطأ يتحول إلى عادة، ومَن اعتاد على سيئة زال قبحُها عن نفسه، ولكن مَن يحاسب نفسه على الخطيئة يبقى الفعل القبيح قبيحاً في نفسه.

إنّ التقييم له الأثر العظيم في إصلاح النفس والمجتمع في توجّهاته وطبقاته المختلفة، فمثلاً إنَّ الطفل الذي يسمع من الآخرين ألفاظاً قبيحة قد ينشأ عليها بسبب فعل الكبير أمامه، وقد يمارسها بعد ذلك، ولكن مع النصح والإرشاد له وتقييم الآخرين لهذه الأفعال بأنّها تؤدي إلى انحرافه عن جادة الصواب ومن ثَمَّ هلاكه، فسوف يدرك هذا الطفل الخطأ الذي ارتكبه وجناه.

إذاً، هذه هي الطرق التي أوضحتها النصوص الدينية المقدّسة لتكون سبل البناء والارتقاء للإنسان في سلوكه الشخصي والاجتماعي، فالضمير الحي الذي يتكامل بالسلوكيات الصالحة والمشاعر الإنسانية الصادقة، وتقييم الإنسان لنفسه بلحاظ العوامل التي من خلالها يتعرّف على عيوب نفسه، عوامل تربوية ناجعة وسليمة تسهم في إيقاف الانحراف والانزلاق في مهاوي الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وكذلك تساعد على التوجّه إلى الإصلاح والتكامل والبناء التربوي الصالح للفرد ولذويه ولمجتمعه.

قال الإمام الصادق(عليه السلام): (حقٌّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يعرضَ عملَهُ في كلّ يوم وليلة على نفسِهِ، فيكون محاسباً نفسه، فإذا رأى حسنةً استزاد منها، وإن رأى سيئةً استغفر منها؛ لئلاّ يُخزى يوم القيامة)[1].

(١) تحف العقول ، ابن شعبة الحراني / ٣٠١ .

مقوّمات الوحدة في القرآن الكريم ومظاهرها

سعيد العذاري - باحث ومؤلف اسلامي

المقدّمة

قال تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }[1].

الأمة الإسلامية أمة واحدة في أفكارها وعواطفها وممارساتها وأخلاقها، تجتمع حول مشتركات ومحاور ومفاهيم وقيم واحدة، وهي: العقيدة الواحدة، والمصالح الواحدة، والسلوك الواحد، والتاريخ الواحد، والمصير الواحد، وتواجه عدواً واحداً وقد جمع إمكاناته وقدراته المادية والإعلامية والعسكرية والسياسية ليواجه الإسلام والمسلمين في جميع العصور وخصوصاً في هذا العصر وهو عصر الصحوة الإسلامية وعودة الإسلام إلى موقعه الريادي بين الأمم.

والأمة الإسلامية بأفرادها وجماعاتها ومذاهبها وطوائفها مأمورة بالتآلف والتآزر والوحدة ضمن النقاط المشتركة والمحاور الواحدة، دعت إلى ذلك النقاط المشتركة والمحاور الواحدة، كما دعت إلى ذلك الآيات القرآنية الشريفة، وتطرقت إلى أسباب الفرقة وعواملها والوقاية منها والخطوات المتبعة لإعادة الإخاء والتآلف.

والواحدة لا تعني انصهار المذاهب والطوائف في بوتقة واحدة لأنّ ذلك يعد

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

ظاهرة مثالية لا تتحقق في الواقع، وإنّما تعني الانطلاق من المشتركات وتوحيد الموقف العملي تجاه التحديات والمؤامرات المحاكمة من قبل أعدائها، وإبقاء الحوار مفتوحاً في مسائل الخلاف لإعادتها إلى المشتركات قدر الإمكان.

الوحدة مسؤولية شرعية:

الوحدة ضرورة عقلية وشرعية، فبالوحدة تتحقق الأهداف المرحلية والبعيدة، وقد أكد القرآن الكريم على هذه المسؤولية التي هي وصية الله تعالى لأنبيائه.

قال تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }(٢).

والوحدة هي الأصل في الحياة الإنسانية. حيث كان الناس أمة واحدة كما خلقهم الله تعالى، أمّا الفرقة فهي الحالة الطارئة والاستثنائية التي يجب إزالتها والعودة إلى الأصل المشترك.

قال تعالى: { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }(٣).

فقد كانت الإنسانية الأولى أمة مصغرة واحدة بقيادة نبي الله آدم (عليه السلام) وتجتمع حول الإيمان بالله تعالى وطاعته والامتثال لمنهجه، وابتدأ الخلاف من حسد قابيل لهابيل ومن ثم قتله.

والآيات القرانية الكريمة حافلة بالدعوة إلى نبذ الفرقة ومقدماتها كالخلاف والنزاعات الفكرية والعملية.

قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ }(٤).

وقال تعالى: { وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }(٥).

وفي الآية الكريمة (بيان للمشركين وفيه تعريفهم بأخص صفاتهم في دينهم وهو تفرقهم في دينهم وعودهم شيعة شيعة وحزباً حزباً يفرح ويسر كل شيعة وحزب بما عندهم من الدين، والسبب في ذلك انهم بنوا دينهم على أساس الأهواء... ومن المعلوم أن هوى النفس لا يتحقق في النفوس بل ولا يثبت على حال واحدة دون أن يختلف باختلاف الأحوال... ولا

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) سورة يونس: ١٩.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

(٥) سورة الروم: ٣١، ٣٢.

فرق في ذلك بين الدين الباطل والدين الحقّ المبني على أساس الهوى)[٦].

التعددية ظاهرة طبيعية

قال تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[٧].

إن التعددية ظاهرة طبيعية لاختلاف الناس في إمكاناتهم وطاقاتهم العلمية والعقلية واختلافهم في الأهواء والرغبات وفي الأهداف والغايات، وفي المصالح والمطامع، وفي أسلوب العمل والحركة، لأنّ الله تعالى لم يشرع شريعتين أو أكثر في زمان واحد قط، بل هي الاختلافات بحسب مرور الزمن وارتقاء الإنسان في مدارج

(٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٦: ١٩١.

(٧) سورة المائدة: ٤٨.

الاستعداد والتهيؤ ... وبالجملة لما كانت العطايا الإلهية لنوع الإنسان من الاستعداد والتهيؤ مختلفة باختلاف الأزمان، وكانت الشريعة والسنة الإلهية الواجب إجراؤها بينهم لتتميم سعادة حياتهم وهي الامتحانات الإلهية تختلف لا محالة باختلاف مراتب الاستعدادات وتنوعها أنتج ذلك لزوم اختلاف الشرائع [٨].

ولذا تعددت الشرائع والمناهج تبعاً للأزمات والأماكن ولطبيعة الناس على مختلف مراحل الحياة، وكان المطلوب هو اتباع الشريعة الملائمة للظروف الإنسانية إلاّ أنّ كثيراً من الناس بقي على شريعته السابقة ولم يهتد إلى آخر شريعة، فبقيت ظاهرة التعددية قائمة وهي مظهر من مظاهر الاختبار والتسابق للخيرات.

والعددية داخل الشريعة الواحدة ظاهرة طبيعية من حيث الاختلاف في خصوصيات وصفات أتباعها من حيث اللغة واللون والجغرافية والعشيرة والوطن والطبقة الاجتماعية، ففي داخل الكيان الإسلامي كانت هنالك تعددية ذكرها القرآن تحت عناوين مختلفة (المهاجرون، الأنصار، التابعون لهم بإحسان، السابقون، المجاهدون، القاعدون، أهل مكة، أهل المدينة، الأعراب، العجم، العرب) وما شابه ذلك.

وقد راعى القرآن الكريم هذه التعددية فلم يلغيها ويصهر عناوينها لأنها ظاهرة طبيعية، ولكن وجهها للتنافس في المعروف واستباق الخيرات.

المحاور الوحدوية المشتركة:

هنالك محاور وحدوية مشتركة تربط المسلمين فيما بينهم وإن اختلفوا في خصوصياتهم القومية والوطنية والمذهبية، وهي آفاق عليا تشدهم وتربطهم إلى مفاهيم الإسلام وقيمه، وهذا ما أشارت إليه آيات القرآن:

قال تعالى: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }[٩].

وقال تعالى: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[١٠].

(٨) الميزان في تفسير القرآن ٥: ٣٨٣، ٣٨٤.

(٩) سورة البقرة: ٢ ـ ٤.

(١٠) سورة البقرة: ١٧٧.

وقال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }[11].

ومن خلال استنطاق هذه الآيات نستطيع تحديد هذه المحاور المشتركة التي يجتمع حولها المسلمون ومن أهمها :

١ ـ وحدة العقيدة.
٢ ـ وحدة الكتاب والقانون والدستور.
٣ ـ وحدة النبي والقائد الربّاني.
٤ ـ وحدة العبادة والطاعة.
٥ ـ وحدة السلوك والسيرة.
٦ ـ وحدة العدو.
٧ ـ وحدة الشريعة.
٨ ـ وحدة التاريخ والمصير.

أسباب الفرقة وعواملها:

أولاً: الهوى

إن التوجه إلى الله تعالى والإخلاص له يحرك الإنسان نحو تقرير مفاهيمه وقيمه في النفس والضمير والواقع، ويحرر نفسه ومجتمعه من الانسياق وراء الشهوات والمطامع ويهذب نفسه من الأنانية والحقد والعدوان، ويوجهه نحو تحقيق المصالح العليا.

أمّا إذا توجه الإنسان إلى هواه فإنه سيبتعد عن الاستقامة ويتغير تبعاً له في علاقاته ومواقفه فيحدث الاضطراب وتتشتت علاقات المودة والمحبة والإخاء لتحل محلها الفرقة الناجمة عن الأهواء والرغبات غير الصالحة.

قال تعالى: { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً }[12].

وقال تعالى: { فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى }[13].

فاتباع الهوى هو اتباع للتعاليم والإرشادات غير الإسلامية، وهذا الاتباع مقدّمة للافتراق عن المنهج السليم والابتعاد عن أنصار الحقّ وأتباعه، وهو مقدمة للفرقة والفتنة.

قال الإمام علي(عيه السلام) : (الهوى مطية الفتن)، (إياكم وتمكن الهوى منكم فإنّ أوله فتنة وآخرة محنة) [14].

ثانياً: أصحاب النفوس المريضة

قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }[15].

الزيغ هو (الميل عن الاستقامة، ويلزمه

(١١) سورة الفتح: ٢٩.

(١٢) سورة الفرقان: ٤٣.

(١٣) سورة طه: ١٦.

(١٤) عبد الواحد الآمدي. تصنيف غرر الحكم: ٣٠٦.

(١٥) سورة آل عمران : ٧.

اضطراب القلب وقلقه ... فإن الآية تصف حال الناس بالنسبة إلى تلقي القرآن بمحكمه ومتشابهه، وإنّ منهم من هو زائغ القلب و مائله و مضطربه فهو يتبع المتشابه ابتغاء للفتنة والتأويل)[16].

فأصحاب النفوس المريضة يتبعون المتشابه لغرض إضلال الناس وإبعادهم عن منهج الاستقامة، وخلق البلبلة والاضطراب في العقول والقلوب، واشغالهم بالجدال العقيم وما يرافقه من ردود أفعال متشنجة تدعو للاختلاف والفرقة والتشتت لاختلاف الآراء والمتبنيات العقائدية والفكرية.

ثالثاً: الجهل المركبَ:

الجهل بجميع ألوانه يؤدي إلى عدم القدرة على تشخيص الحقائق، وعدم التمييز بين الحقّ والباطل، وعدم القدرة على تمييز الأولياء والأعداء، وعدم معرفة النوايا والأهداف المغرضة، وعدم كشف مظاهر التآمر على وحدة المسلمين، فيقع الجاهل فريسة للأعداء والمغرضين، وخصوصاً من يتصف بالجهل المركب.

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ }، { أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ }[17].

والجهل هو مقدّمة لجميع أو أغلب المفاسد وخصوصاً في العلاقات الاجتماعية والسياسية كما وصفه الإمام علي(عيه السلام) :

(الجهل فساد كل أمر).

(الجهل أصل كل شرّ).

(من جهل كثر عثاره)[18].

(لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)[19].

رابعاً: الممارسات المنحرفة :

ذكر القرآن الكريم جملة من الإرشادات حول الإصلاح بين المؤمنين وإعادتهم إلى الإخاء، ثم أردفها بآيات أُخر تنهى عن بعض الممارسات، وهي إشارة إلى دورها في الفرقة والتمزق.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ }[20].

وهذه الممارسات تؤدي إلى تباعد الإخوان

(١٦) الميزان في تفسير القرآن ٣: ٢١.

(١٧) سورة البقرة: ١١، ١٢.

(١٨) تصنيف غرر الحكم: ٧٣ـ ٧٥.

(١٩) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ٧٨: ٨١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

(٢٠) سورة الحجرات: ١١.

وافتراقهم وبالتالي إلى تمزقهم، وخصوصاً إذا تبنى هذه الممارسات جماعات وتيارات وأحزاب مؤثرة في المجتمع، ومن آثارها:

١ ـ إشغال المسلمين عن أهدافهم الكبرى.

٢ ـ عدم الحذر من مؤامرات الأعداء.

٣ ـ انتشار الظواهر السلبية كالحسد والحقد والعدوان، ومن ثم القلق والاضطراب.

٤ ـ فقدان الثقة بالعاملين والمصلحين وتحجيم دورهم بسبب تشويه سمعتهم.

٥ ـ انقسام المجتمع إلى تيارات وجماعات متناحرة.

وتزداد خطورة هذه الممارسات حينما تتناقلها وسائل الإعلام وتتبناها.

خامساً: التشاور دون علم القيادة الربانية

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ }[٢١].

والمناجاة هي (التشاور سراً)[٢٢] دون علم القيادة الربانية، حيث يقع الأتباع في هذه الحالة بمنزلقات عديدة ومن مصاديقها إضعاف الكيان الإسلامي بالعدوان على بعض أفراده، أو معصية القيادة الربانية والتمرد على إرشاداتها وأوامرها وهي عامل أساس في خلق الفجوة وآلهوة السحيقة بين الأتباع وقائدهم.

سادساً: إتباع وموالاة أعداء الدين:

قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[٢٣].

ومعناها لا تتبعوا السبل التي دون هذا الصراط المستقيم الذي لا يقبل التخلف والاختلاف وهي غير سبيل الله فانّ إتباع السبل دونه يفرقكم عن سبيله فتختلفون فيه فتخرجون من الصراط المستقيم إذ الصراط المستقيم لا اختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه[٢٤].

ونهى القرآن الكريم عن إتباع أعداء الدين وموالاتهم (اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء)[٢٥].

فأتباع السبل المنحرفة وهي التيارات والجماعات المخالفة للدين يؤدي إلى اضطراب وتشتت وتمزق الكيان الإسلامي الموحد، حيث يتبع الإنسان توجيهات

(٢١) سورة المجادلة: ٩

(٢٢) الخليل الفراهيدي، ترتيب كتاب العين: ٧٩٣.

(٢٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢٤) الميزان في تفسير القرآن ٧: ٤٠٠.

(٢٥) سورة الأعراف: ٣.

وتعليمات وأوامر الأعداء أو المنحرفين وينفذ مخططاتهم، ومنها تمزيق المسلمين، ابتداءً بافتراق المسلم عن دينه وكيانه، وانتهاء بتفرق المسلمين.

سابعاً: البغاة على مبادئ الدين:

قال تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ }[٢٦].

معناها (أمّا اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الدين مع نزول الكتاب الإلهي عليهم وبيانه تعالى لما هو عنده دين وهو الإسلام له، فلم يكن عن جهل منهم بحقيقة الأمر وكون الدين واحداً، بل كانوا عالمين بذلك، وانّما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر)[٢٧].

إن البغي على مبادئ الدين بعد الإطلاع الواعي على مبادئه هو أساس الاختلاف عنه سواء كان من قبل غير المسلمين أو من قبل المسلمين أنفسهم وهذه قاعدة كلية، فالبغي مع سبق الإصرار أو مع العلم بصلاحية مبادئ الإسلام هو أساس الاختلاف.

ثامناً: المنافقون:

المنافقون هم العدو الداخلي وهم أشدّ خطورة من الأعداء لأنهم مطلعون على ظروف المسلمين و أوضاعهم من حيث متابعة نقاط الضعف والقوة، وهم يستثمرون جميع الفرص والثغرات للدخول منها والعمل على تمزيق المسلمين وتشتيتهم للقضاء عليهم.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }[٢٨].

تاسعاً: أعداء الدين:

قال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ }[٢٩].

والمعنى (إن فرعون علا في الأرض وتفوّق فيها ببسط السلطة على الناس وإنفاذ القدرة فيهم وجعل أهلها شيعاً وفرقاً مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء وبذلك ضعف عامة قوتهم على المقاومة دون قوته والامتناع من نفوذ إرادته)[٣٠].

---

(٢٦) سورة آل عمران: ١٩.

(٢٧) الميزان في تفسير القرآن ٣: ١٢٧.

(٢٨) سورة التوبة: ١٠٧.

(٢٩) سورة القصص: ٤.

(٣٠) الميزان في تفسير القرآن ٦: ٥.

إنّ لأعداء الدين دوراً أساسياً في تمزيق وحدة المسلمين على طول التاريخ: لأنهم لا يروق لهم أن يصبح المسلمون قوة عظيمة تهدد كيانهم ووجودهم، فالتجأوا إلى تمزيق وحدتهم لإضعافهم ومن ثم تغييبهم عن مسرح التأثير في العالم.

ومن تصريحاتهم قال لورانس براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ... أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلّون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير)[٣١].

ومن الوسائل والممارسات التي قام به أعداء الدين وفي مقدمتهم الدول الاستبكارية:

١ ـ خلق الفتن الطائفية الاستكبارية.

٢ ـ خلق الفتن بين الأحزاب الإسلامية.

٣ ـ العمل على تحجيم دور العلماء وابعاد المسلمين عنهم.

٤ ـ خلق الصراعات بين حكّام الدول الإسلامية.

٥ ـ خلق الصراعات بين الشعوب وحكّامها.

٦ ـ بث الخلافات بين علماء الدين.

٧ ـ الترويج للمفاهيم العنصرية.

الآثار السلبية للفرقة

(٣١) الإسلام وشبهات المستشرقين: ٨٣. عن كتاب: التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣٧.

أولاً: نفي الإيمان:

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }[٣٢].

نفى الله تعالى صفة الإيمان من الذين فرّقوا دينهم، ومن (المعلوم أن تمييز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإخراجه من أولئك المتخلفين في الدين المتفرقين شيعة شيعة كل شيعة يتبع إماماً يقودهم ... انهم ليسوا على دينك الذي تدعوا اليه ولا على مستوى طريقك الذي تسلكه)[٣٣].

إنّ نفي الإيمان من المتفرقين أمر عظيم وخطير، ولذا ينبغي الحذر من الفرقة والتمزق، حيث لا ينفع أي عمل مع نفي الإيمان كالعبادة بجميع أنواعها، والاتيان بمكارم الأخلاق والأعمال الصالحة الأخرى، فيكون عمل الإنسان هباءً منثورا، لأنّ الفرقة تستهدف أصل الدين والكيان الإسلامي ووجوده .

ثانياً: الفشل والانهيار:

قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ }[٣٤].

إنّ الفرقة هي مقدمة للفشل والانهيار

(٣٢) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٣٣) الميزان في تفسير القرآن ٧: ٤١٣.

(٣٤) سورة الأنفال: ٤٦.

والسقوط الحضاري، وذلك بذهاب القوة والوجود الإسلامي وكيانه أو ضعفه، فيفقد المجتمع كل مؤهلات ومقومات وجوده فيصبح أسيراً وفريسة لأعداء الدين، ويفقد الأمن والسلام والطمأنينة، ويعيش في دوامة من الاضطهاد والاستغلال والظلم، وتنهب ثرواته، ويفقد الراحة فلا تبقى سلامة للأرواح والأعراض والأموال.

وبمعنى آخر ذهاب القوة في جميع مجالاتها: الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية.

والفرقة تؤدي إلى الهلاك كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: (لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[٣٥].

وقال (صلى الله عليه وآله) : (ما اختلفت أمة بعد نبيها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقها) [٣٦].

واعتبر (صلى الله عليه وآله) الفرقة حالقة للدين كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله): (فساد ذات البين هي الحالقة) [٣٧].

والأهم من كلّ ذلك هو الخسران في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }[٣٨].

وفي آية أخرى تكون النتيجة هي الشقاق: {ذلك بانّ الله نزل الكتاب بالحقّ وانّ الذين

(٣٥) حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال ١: ١٧٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

(٣٦) م .ن ١: ١٨٣.

(٣٧) سنن أبي داود: ٩٢٠، الحديث ٤٩١٩.

(٣٨) سورة البقرة: ٢٧.

إختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد }[٣٩].

وبيّن الإمام علي(عليه السلام) آثار الفرقة لأخذ العبرة والدروس منها، فقال: (واحذروا ما نزل بالأمم من قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم...

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة والأهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة والأيدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة؛ ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين وملوكاً على رقاب العالمين.

فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً)[٤٠].

الوقاية من الفرقة وطرق العلاج :

القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية الخالد، وهو الدستور الشامل لإصلاح الواقع وتغييره، وهو دستور متكامل ترتبط فيه القوانين والسنن بعضها بالبعض الآخر، وترتبط به الوسائل مع الأهداف ومع بعضها الآخر، وترتبط به الوقاية بالعلاج والعلاج بالوقاية، وقد وضع قوانين واقعية للوقاية من الفرقة وطرق العلاج، ومن أهمها:

أولاً: تقوى الله تعالى :

تقوى الله تعالى تجعل الإنسان فرداً كان أم أمة يستشعر الرقابة الإلهية والاحاطة الإلهية بكل شيء في حياته العملية ابتداءً بنواياه وخططه وانتهاءً بالتطبيق العملي، وهذه الرقابة تمنعه من كلّ الموبقات التي تهدد كيانه وكيان المجتمع.

قال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً }[٤١].

وورد عن الإمام في تفسير هذه الآية من يتق الله وفي إقرار القرآن للتعددية وضع مقياساً الهياً للتكريم وهو التقوى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[٤٢].

وهذا المقياس يمنع من مقدمات الفرقة وهي التمييز بين الشعوب والكيانات أو من الروح العنصرية التي تساهم في فرقة المسلمين إن استشرت في صفوفهم.

(٣٩) سورة البقرة: ١٧٦.
(٤٠) نهج البلاغة: ٢٩٦، ٢٩٧، الخطبة: ١٩٢.
(٤١) سورة الطلاق: ٢.
(٤٢) سورة الحجرات: ١٣.

وتقوى الله تعالى تقي المسلمين من الدخول في الفرقة من خلال إيجاد مقدماتها، وكذلك تعالجها بعد وقوعها لتنحصر في زاوية ضيقة ومن ثم زوالها.

ثانياً: توجيه العقول والقلوب للآفاق العليا:

وجه القرآن الكريم عقول المسلمين وقلوبهم إلى الآفاق العليا التي تجمعهم وتوجه مسيرتهم نحو الالتفاف حولها والتمحور حولها، وهي روابط الانتساب إلى اله واحد، وإلى امّة واحدة.

قال تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }(٤٣).

وقال تعالى: { وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }(٤٤).

وقال تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }(٤٥).

ثالثاً: التعاون على البرّ والتقوى:

قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }(٤٦).

في هذه الآية دعوة للتعاون على البرّ والتقوى ومن أهم مصاديقه التعاون من أجل تحقيق الإخاء والمودّة والمحبة والنصرة بين المسلمين، والنهي عن الإثم والعدوان ويتمثل في أهم المصاديق وهو الخصومة والنزاع والصراع والتشتت والفرقة، فالقرآن ينهى عن جميع مقدّمات الفرقة ويأمر بتحقيق جميع مقدمات الوحدة.

رابعاً: الاعتصام بالقرآن والسنة:

الاعتصام بالقرآن والسنة المتمثلة برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام)، فالله تعالى هو المنعم على المسلمين بتوحيدهم، فيجب التوجه إليه بالطاعة والدعاء، واستشعار سننه وقوانينه وجعلها المحرك لأفكارنا وعواطفنا وممارساتنا.

قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا }(٤٧).

وفي تفسير الآية قال السيد محمد حسين الطباطبائي: انّ قلت: إن حبل الله هو الكتاب المنزل من عند الله ... وإن شئت قلت: إنّ

(٤٣) سورة البقرة: ١٦٣.
(٤٤) سورة العنكبوت: ٤٦.
(٤٥) سورة الأنبياء: ٩٢.
(٤٦) سورة المائدة: ٢.
(٤٧) سورة آل عمران: ١٠٣.

حبـــل اللّه هو القرآن والنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ...

والمراد بالنعمة هو التأليف فالمراد بالأخوة التي توجده وتحققه هـــذه النعمة أيضاً تألف القلوب...

وكان المـــراد بالنـــار هـــي الحـــروب والمنازعات[٤٨].

وقال تعالى: { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[٤٩].

والاعتصام بأئمة أهل البيت(عليهم السلام) يساهم مساهمة فعالة في منع الاختلاف، كما ورد عن رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) أنّه قال: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف...)[٥٠].

وقال الإمام علي(عليه الســـلام): (هم عيث الوهم وموت الحمل ... لا يخافون الحقّ ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإســـلام وولائج الاعتصام...) [٥١].

خامساً: البراءة من أعداء اللّه تعالى:

البراءة تعني المقاطعة والمفاصلة الكاملة وعـــدم القرب والدنو مـــن أعداء اللّه تعالى، وعدم الســـير على نهجهم والحـــذر الدائم من أفكارهم وخططهـــم وإيحاءاتهم، لأنهم يخططون لإضعاف الصف الإسلامي بتشتيت أواصر الأخوة والاتحاد والتآزر والتعاون، ومن الأهم فقد ضل السبيل.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِيـــنَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّه رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَـــبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُســـرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }[٥٢].

والبراءة لها مصاديق عديدة:

١ ـ المفاصلة الكاملة معهم كأفراد وتيارات وجماعات ودول.

٢ ـ عدم الانسياق وراء أفكارهم وعواطفهم.

٣ ـ عدم الانسياق وراء مخططاتهم.

٤ ـ عـــدم التأثـــر بالإعلام والإشـــاعات الصادرة منهم.

٥ ـ عدم التعاون معهم.

سادساً: الرجوع إلى القيادة الربانية

القيـــادة الربانية هي صمـــام الأمان من

(٤٨) الميزان في تفسير القرآن ٣: ٤٠٧، ٤٠٩.

(٤٩) سورة الأنفال: ٦٣.

(٥٠) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٩.

(٥١) نهج البلاغة: ٣٥٧.

(٥٢) سورة الممتحنة: ١.

التنازع والاختلاف والفرقة، وهي الميزان التي توزن به الأفكار والعواطف والممارسات، وتوزن به الشخصيات والحركات والتيارات لمعرفة مدى صلاحها أو انحرافها، ومدى قربها أو بعدها عن المنهج الإسلامي.

فيجب الرجوع إليها عند أول بادرة من بوادر الخلاف والنزاع لأنّ توجيهاتها هي النبراس والعلاج الأمثل للأزمات الطارئة والمتقلبة، فمنها يسترشد المسلمون في حركتهم وفاعليتهم، ويتوصلون إلى الحل الأمثل والأصوب في حال الاختلاف والنزاع.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[53].

فطاعة الله تعالى والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والقيادة الربّانية أمان من الفرقة لانّ المطيعين سيستلمون قيادة واحدة وتوجيه واحد، وعلاج واحد، وهي الأعرف في علاج الأزمات.

وقال تعالى: { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }[54].

(53) سورة النساء: 59.

سابعاً: حسن العلاقة بين القيادة والقاعدة

حسن العلاقة بين القيادة والقاعدة يساهم مساهمة فعالة في التفاهم والانسجام والتآزر والتعاون، وجميع ذلك يقع مقدمة للوحدة وبنذ الفرقة.

فاللين والرفق والعفو والمشاورة يساهم في الالتفاف حول القيادة والاستسلام لتوجيهاتها فلا يبقى مجال للاختلاف والنزاع بين مصادر القوة وهي القيادة والقاعدة.

قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[55].

ثامناً: المساعي الحميدة للمصالحة:

الإنسان فرداً كان أم جماعة يتسم بالضعف والعجلة والتسرع ومحدودية التفكير، وتنازعه الأهواء والمصالح والمنافع الضيقة، ويتأثر بالإشاعات المغرضة، فتصدر منه ممارسات قد تؤدي إلى النزاع والصراع وخصوصاً النزاع المسلح، ولذا يجب السعي للمصالحة في بداية النزاع قبل أن يستشري، والمصالحة ضرورية

(54) سورة النساء: 65.

(55) سورة آل عمران: 159.

لأنها مصالحة بين أخوة ينتمون إلى عقيدة واحدة ومنهج واحد وكيان واحد.

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(٥٦).

وفي أجواء المصالحة يجب مراعاة حقوق الفئات والجماعات الإسلامية على ضوء ما حدّده الدستور الإسلامي بإقامة العدالة وإعطاء كل ذي حق حقه، ومنه مقاتلة الفئة الباغية لإعادتها إلى الصف الإسلامي.

قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }(٥٧).

وقد ربط القرآن الكريم بين الإصلاح وتقوى الله تعالى وطاعة القيادة الربانية لكي تكون المصالحة قربة إلى الله تعالى الذي أمر بها.

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }(٥٨).

تاسعاً: أداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وردت آيات عديدة توجب على المسلمين تشكيل أمة من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لتؤدي مسؤوليتها في الدعوة إلى الله تعالى وإلى منهجه وإلى إصلاح الواقع وتغييره، ومهمة هذه الأمة أو الجماعة أو الكتلة تتجسد في مقامنا هذا بجملة من النقاط:

١ ـ توعية المسلمين على ثقافة مقدمات الوحدة، وتجسيدها في الواقع ومنها: التعاون، التآزر، الايثار، الإحسان، الكرم، الرفق، الرحمة، المدارة، التنافس في المعروف، إغاثة الملهوف، إضافة إلى الترويج لثقافة الروابط الوحدوية وهي: الحبّ في الله، والبغض في الله، والعطاء في الله، والمنع في الله، وتقديم المصالح العامة على المصالح الشخصية، والتناصر في الله، مقابلة الإساءة بالإحسان.

٢ ـ توعية المسلمين على تجنب الخلاف والنزاع والصراع وإزالة مقدّماته ومنها: تضاغن القلوب، تشاحن الصدور، تدابر النفوس،

(٥٦) سورة الحجرات: ١٠.
(٥٧) سورة الحجرات: ٩.
(٥٨) سورة الأنفال: ١.

الجفاء، السخرية، البهتان، الممارات الفارغة، التدابر، التقاطع.

٣ ـ التحذير من حبّ الدنيا كحبّ المال والجاه والسلطة بغير مؤهلات، والانسياق وراء الشهوات والرغبات غير المشروعة.

٤ ـ الرد على الشبهات وكشف المخططات التي تستهدف وحدة المسلمين.

٥ ـ تحكيم منطق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادئ، والقول اللين الميسور، واتباع التي هي أحسن.

٦ ـ علاج الأزمات في مهدها قبل أن تستشري في الواقع وتصبح حقيقة قائمة لا يمكن تجاوزها وإلغائها.

٧ ـ الدعوة للتمحور حول النقاط المشتركة التي تجمع المسلمين والانطلاق منها لمواجهة التحديات.

٨ ـ التأكيد على مفهوم الولاية بين المسلمين، وهي ولاية النصرة والدفاع والمودة والمحبة.

وقفة مع القارئ المصري الكبير
الدكتور عبد الفتاح الطاروطي

اجرى اللقاء / كرار الشمري

صدى القرآن: القارئ الدكتور عبد الفتاح الطاروطي أهلا وسهلا بكم في رحاب الإمام الحسين (عليه السلام)

– الطاروطي: مرحبا بكم وحياكم الله.

ـ صدى القرآن: أين ولد الدكتور عبد الفتاح الطاروطي وأين نشأ وترعرع ؟

– الطاروطي: أنا ولدتُ في محافظة الشرقية في قرية طاروط بجمهورية مصر العربية، في ٢٩/ ٤/ ١٩٦٥م.

ـ صدى القرآن: كيف كانتْ بدايتكم مع القرآن الكريم وهل كان للبيئة والأهل دورٌ في ابداعتكم في مجالات القرآن الكريم؟

– الطاروطي: الحمد لله أنا بدأتُ في حفظ القرآن الكريم وعمري ثلاث سنوات وختمتُ حفظه وعمري ثمان سنوات والذي شجعني على ذلك والدي (رحمة الله عليه)، مع الشيخ عبد المقصود النجار، هو رجل محفظ للقرآن في كتّاب القرية فكان لهم دور عظيم في حفظي للقرآن الكريم حتى أن إخوتي كلهم حفظوا القرآن الكريم.

ـ صدى القرآن: هل تذكرون المحفل القرآني الأول الذي شاركتم به وكيف انعكس

على إبداعاتكم القرآنية؟

– الطاروطي: كان محفلاً في القرية وقد أصبح مفاجأة لجميع أبناء بلدتي. كيف أن هذا الطفل الصغير الذي يبلغ من العمر عشر سنوات حيث يقرأ القرآن بصوته الطيّب فكان ذلك حافزاً ودافعاً لي بأن أتواصل في مجال تلاوة القرآن الكريم.

ـ صدى القرآن: ما هي أبرز مشاركاتكم الدولية؟

– الطاروطي: شاركتُ والحمد لله في الكثير من المحافل الدولية ففي عام ١٩٩٧م شاركت في ولاية (سان فرنسيسكو) في أمريكا وفي عام ٢٠٠٠م شاركتُ في محفل بجزر الكناري بأسبانيا وزرت إيران أربع عشرة مرة وأربع زيارات إلى دولة باكستان وثلاث زيارات إلى تركيا وسافرتُ إلى جنوب أفريقيا وشاركتُ في أكبر مؤتمر إسلامي عالمي في الهند وهذه الزيارة الثانية إلى العراق.

ـ صدى القرآن: ما هي الشهادات التي نالها الطاروطي خلال مسيرته القرآنية؟

– الطاروطي: أنا أعتبر أعظم شهادة حصلتُ عليها هي شهادة القرآن الكريم وهي أعظم وسام على صدري. ولكن أضف إلى ذلك حصولي على ليسانس أصول الدين قسم الدعوة الإسلامية والماجستير في الدعوة الإسلامية والدكتوراه الفخرية من الجامعة البنورية في باكستان والى جانب الشهادات الأوسمة والدروع التي حصلتُ عليها من كبار الشخصيات في العالم.

ـ صدى القرآن: كيف كان ظنكم بأوضاع العراق؟ وماذا وجدتم حينما جئتم إليه؟

– الطاروطي: كما يشيع الإعلام دائماً أن هناك مخاطر وأن هناك تفجيرات نسمع هذا الكلام كل يوم، ولكنني – والحمد لله– حينما أتيتُ إلى هنا وجدت نفسي في مكان قد حفظه الله ورعاه وجعل بركات آل بيت رسول الله تسري في أرجاء المكان، فالحمد لله نشعر بالهدوء والسكينة وبراحة النفس والقلب ونسأل الله أن يرزق هذا البلد العراق ومصر وجميع الدول الإسلامية الأمن والأمان والسلامة والإسلام وأن يحفظها من كل سوء.

ـ صدى القرآن: كيف يرى الطاروطي الحركة القرآنية في العراق وخصوصًا في العتبات المقدسة؟

– الطاروطي: شيءٌ رائع ومشرفٌ وأنا فخور جدًا بأن أشارك في هذه الاماكن حيث الروحانية والشباب المقبل على القرآن، وإن أكثر المشاركين في هذه المحافل التي أشارك بها هم من الشباب وهذا يعكس مدى حبهم لتلاوة القرآن وهذه بشارة خير بأن يجد الشاب عزته وكرامته ورفعته في الإقبال على القرآن فنسأل الله أن يجعلنا وإياهم من أهل

القرآن وأن نؤدب وإياهم بأدب القرآن.

ـ صدى القرآن: عندما زرتُم دارَ القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة كيف وجدتم النشاطات القرآنية فيها؟

- الطاروطي: هي نشاطات واسعة ومتعددة حيث وجدت أنّ هناك حركة قرآنية كبيرة طوال اليوم لا تدخل هذه الدار إلا وتجد فيها الروح والنشاط القرآني وهذا يعكس مدى اهتمام السادة المسؤولين والعاملين فيها وتفانيهم في الإهتمام بهذه النشاطات القرآنية. فأسأل الله أن يستخدمهم دائما في خدمة القرآن ويجعلهم في بركات أهل البيت في الدنيا والآخرة.

ـ صدى القرآن: ما هو شعور الطاروطي وهو يقرأ القرآن الكريم في مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)؟

- الطاروطي: شعور لا يمكن وصفه لأنني تعودتُ على هذه الروحانية بمقام رأس سيدنا الحسين في مصر ودائما أشعر بالبركات والنفحات والتجليات ولي معه أسرار ومواقف عظيمة تجعلني أفضل هذه الأماكن المباركة على أي مكان في العالم، ولقد عرض عليّ قبل شهر رمضان أن أسافر الى لندن ولكنني فضلت أن اكون في رحاب مولانا الحسين لعل الله يحشرنا معه في الدنيا والآخرة.

ـ صدى القرآن: هل ترغبون في زيارات أُخر الى العراق؟

- الطاروطي: لا أحد يرد زيارة أهل البيت (عليهم السلام) فهي فضل وكرم وشرف وعز لكل من اقترب من هذه الأماكن وتذوق حلاوة الحب وحلاوة القرب فيحشر المرء مع من أحب فنحن محبون وعاشقون لأهل بيت رسول الله (عليهم صلوات الله) فإذا ما وجهت إلينا الزيارة مرارا وتكرارا فلن نملَّ أبدا من أن

نكـــون في جوار أبي عبد الله الحســـين (عليه السلام).

ـــ صدى القرآن: كلمة أخيرة للدكتور عبد الفتاح الطاروطي.

– الطاروطي: أقول لقد تشرفتُ في تلبيتي دعوتكـــم لي للمرة الثانيـــة إلى هذا المكان الطاهر المبـــارك الذي ألتمـــس فيه الأنس والراحـــة والصفاء والنقاء، وأنا لهذه الأماكن المقدســـة محب وإنْ لم أتردد عليها بجسمي فإني أتردد عليها بروحي وقلبي وعقلي في كلّ لحظة وهذا مايجعلني متواصلا معكم وسألبي دعواتكـــم مرارا وتكرارا وهذا فخرٌ وشـــرفٌ لي أنْ اكون دائمًا بجوار آل بيت رســـول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين أتمنى أنْ أكون معهم في الدنيـــا والآخرة وفي جنة الله تبارك وتعالى.

ـــ صـــدى القرآن: المقرئ الشـــيخ عبد الفتاح الطاروطي شكراً جزيلا لكم.

– الطاروطي: أشـــكركم على هذا اللقاء وكل عام وأنتم بخير وأهنأكم بشهر رمضان وأســـأل الله ببركة هذه الأيـــام المباركة أنْ يحفـــظ العراق من كل ســـوء وأن يجعله بلد سخاء ورخاء لكل المسلمين وأن يأمنه من كل مكره وسائر بلاد المسلمين وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

دار
السيدة رقية عليها السلام
للقرآن الكريم

أنشئت دار السيدة رقية(عليها السلام) للقرآن الكريم في قم المقدسة عام (١٤٢٧ هـ) لتعليم القرآن وعلومه من تجويد وترتيل وحفظ، مع معرفة القراءات القرآنية السبعة المشهورة.

وكذلك نشر الثقافة القرآنية على صعيد الفرد والأسرة، وكذلك تخريج أساتذة لهم المكانة المرموقة في تعليم وتدريس وحفظ القرآن.

وقد سمّيت الدار باسم صغيرة الحسين السيدة رقية(عليها السلام)؛ لأنّ بدايات الدار كانت لصغار الجالية، حيث كانوا يحيون شعائر أهل البيت (عليهم السلام)، ثم بعد ذلك ضمت طلبة العلم من الجالية العربية المقيمين في إيران.

ثم امتدت الفكرة لتأسيس دار تحتضن هؤلاء النشء من أبناء الجالية وغيرهم؛ لتربيتهم وتعليمهم مفاهيم القرآن وعلومه، فكانت النتيجة المرجوة والثمرة الكريمة لهذه الفكرة هي نشوء دار السيدة رقية(عليها

السلام) للقرآن الكريم، حيث كانت الجهود المنشودة تتوالى لتأسيس الدار في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة لسنة ١٤٢٧ هـ الموافق ليوم عيد الغدير الأغر.

إلى أنّه قد تمّ بحمد الله الارتقاء بالعمل الإداري داخل الدار إلى مستوى العمل المؤسساتي؛ حيث تناسقت الجهود وتكاملت وتواجدت لتصبّ في خدمة الأهداف المسطّرة، وبالتالي فإن كلّ هذا النجاح والتوفيق هو من الله سبحانه أوّلاً،ومن بركات صاحب الزمان(عجّل الله فرجه الشريف) ثانياً، وثمرة للعمل الجماعي والمؤسساتي ثالثاً.

أهداف الدار

وقد تبنت دار السيدة رقية (عليها السلام) للقرآن الكريم من بدء نشوئها على أهداف، وهي الاهتمام بإعداد جيل قرآني لكل المستويات، سواء طلاب العلم أم غيرهم، بالخصوص الأطفال والنشء الصغار وتربيتهم تربية إسلامية قرآنية تقوم على حبّ محمد وآله (عليهم السلام)؛ لأنّهم جيل المستقبل وبهم يسير الركب لكلّ الأمم.

المشروع القراني في الجامعات العراقية

في الرحابِ المقدس لسيدِ الشُهداءِ الإمام الحسين (عليه السلام) وضمن أهدافٍ وضعتْها دارُ القرآنِ الكريم في العتبةِ الحُسينيةِ المُقدسةِ لتنبثقَ منها مشاريعُ مشرقةٌ في سماءِ المنهجِ القرآنيِّ برعايةٍ من سماحة الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة انطلق المشروع القرآني للجامعات العراقية

بإقامة المنتدى القرآني للأساتذة الجامعات تحت عنوان (رؤى قرآنية معاصرة) ألقى خلاله الباحث اللإسلامي المتخصص

بالشـــؤون القرآنيـــة الدكتور ســـالم جاري محاضـــرات قيّمة في مواضيع قرآنية متعددة تضمنتْ مداخلات من قبل أساتذة الجامعات الذين أعربوا عن تقديرهم للدور الكبير الذي توليه العتبة الحســـينية لنشر ثقافة القرآن الكـــريم لمختلف شـــرائح المجتمع العراقي خاصة بين طلبة وأساتذة الجامعات ومثمنين الجهـــود الـــتي تبذلها دار القـــرآن الكريم والمشـــاريع القرآنية الكبيرة التي تقوم بها، كما طَالَبَ بعضُهم بتكثيف هذه المنتديات لما لها من انعكاســـات هامة على الواقع العلمي والثقافي في كربلاء وعموم العراق.

وفي ختام المنتدى القرآني الذي تواصل ســـبعة أيام، اســـتضاف خلاله عـــددًا من الباحثين كالأســـتاذ الباحث المصري صالح الورداني،

و من ثمّ وُزعت الشهادات التقديرية على الأساتذة المشاركين بحضور ممثل سماحة الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة السيد ســـعد الدين البناء و السيد جعفر الموسوي والشيخ حســـن المنصوري، و الجدير بالذكر أن الدكتور ســـالم جاري أشار الى أن هذه اللقاءات العلمية ســـتتواصل بدعوة العديد من أساتذة الجامعات والباحثين من مختلف

المحافظات العراقية.

ثم بعدها استمر العمل بالمنهج الذي أُعدَّ من قِبل اللجنة المشرفة على هذا المشروع فانطلقتْ الدورة القرآنية الأولى لطلبة الجامعات تحت عنوان: (دورة الإمام الحسين عليه السلام) للطلبة الجامعين بحضور شخصيات علمية وأكاديمية ومن مختلف الجامعات العراقية أُفتُتح الحفلُ بآيٍ من الذكر الحكيم تلاها المقرئ الحاج أسامة الكربلائي؛ ثم كلمة للأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي؛ ثم تلتها كلمة اللجنة المشرفة على المشروع القرآني في الجامعات العراقية ألقاها الحافظ محمد باقر المنصوري الحائز على شهادة الدكتوراه في الإبداع والمواهبة الخارقة تطرق خلالها إلى ضرورة الاهتمام بالطاقات الشبابية سيما المثقفة منها والتمسك بالمنهج القرآني وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومن بعدها ألقى الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي رئيس جامعة أهل البيت (عليهم السلام) كلمة بارك فيها المشاريع الكبيرة التي تنطلق من الروضة المقدسة للإمام الحسين (عليهم السلام) مثمناً الجهود التي يبذلها العاملون في دار

القرآن الكريم كما قدم عميد كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء الأستاذ الدكتور مكي الكلابي درعَ الكلية الى المشرف على دار القرآن الكريم الشيخ حسن المنصوري ومن ثم تمَّ توزيع الجوائز على الثلاثة الأوائل من الطلاب؛ وكذلك الثلاثة الأوائل من الطالبات وكانت هناك جوائز نقدية بالإضافة الى تفسير الميزان والأمثل ومجمع البيان. يذكرأنه أُقيمتْ قبل شهر ندوة لأساتذة الجامعات وضمن هذا المشروع القرآني استضافتْ خلالها نخبة من أهل العلم واللاختصاص كما تسعى دار القرآن الكريم لأن تكون هذه النشاطات التي بدأت في جامعة كربلاء و جامعة أهل البيت (عليهم السلام) ستقام في جميع الجامعات العراقية.

وتحت شعار: (من أجل تعميق الوعي القرآني لطلبة جامعتنا)، احتفلتْ جامعة الكوفة بافتتاح أُولى دوراتها القرآنية في المشروع القرآني للجامعات العراقية، الذي تبنّته دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة، حيث حضر الحفلَ وفدٌ من دار القرآن الكريم و مجموعة من الأساتذة و المثقفين، فضلًا عن الحضور المتميز لأساتذة جامعة الكوفة و طلبتها، وقد أُفتتح الحفل بآيٍ

من الذكر الحكيم، ثم قراءة لسورة الفاتحة على أرواح شـــهداء العراق، و جاءت بعدها كلمـــة لرئيس الجامعة الدكتـــور عقيل عبد الحســـين الذي أكد فيها على ضرورة تثقيف الطلبة بالثقافة القرآنية، و أن يشـــمل هذا المشـــروع القرآني كلّ الجامعات العراقية، كون القرآن الكريم دستورًا للإسلام و رسالته السماوية.

ثمَّ تلتهـــا كلمـــة للدكتور ســـالم جاري الذي مثّل وفـــد دار القرآن الكريم في العتبة الحســـينية المقدســـة و قد جاء في كلمته: "نحـــن نثمن الدور الكبير الذي توليه العتبة الحسينية المقدسة في دعمها المبارك لتفعيل مثل هذه المشـــاريع و الدورات القرآنية، و خصوصًا هذا المشروع المبارك الذي انطلق من جامعتي كربلاء و أهـــل البيت (عليهم الســـلام)، و هو اليوم في طريقه نحو بقية الجامعات العراقية.".

وفي ختام الحفل قدم وفـــد دار القرآن الكريم شهادةً تقديرية لرئاسة جامعة الكوفة، وقد كرّمتْ جامعةُ الكوفـــة وفد الدار بدرع الجامعة تثميناً لـــدور دار القرآن الكريم في رفد الحركة القرآنية و انجاحها.

و بعد دعـــوةِ الطلبة من بقية الجامعات

العراقية سيما جامعة البصرة بضمهم ضمن هذا المشـــروع، زار مسؤول شـــعبة التعليم القرآني في دار القرآن الكريم أحمد موســـى عمران جامعـــة البصـــرة، و إلتقى برئيس الجامعة وعُمـــداء بعض الكليات، فيما أبدى رئيس جامعة البصرة الأستاذ الدكتور صالح إسماعيـــل ترحيبه وســـعادته بفتح دورات قرآنية لطلبة الجامعة، كما و أعلن استعداده لتوفير قاعات مناســـبة لهذه الدورات و قد طلب السيد عميد كلية الهندسة الدكتور نبيل عبد الرزاق بـــأنْ تكون كليته الأُولى من بين الكليات في الجامعة حيث اطلع رئيس وعمداء الكليـــات في الجامعة على أبرز النشـــاطات والمشاريع القرآنية التي تطلقها دار القرآن وذلك من خلال مشـــاهدة بعض إصدار دار القرآن الكريم و صور طلبته.

علما أن هذا المشـــروع القرآني سيشمل الجامعات العراقية كافة دون استثناء ليكون تمهيـــدا للملتقى القـــرآني لطلبة الجامعات العراقية والذي ســـيقام في العتبة الحسينية المقدسة

قصة وعبرة

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)

قال الشيطان ذات يوم ليحيى بن زكريا عليه السلام أنت لست من الأفراد الذين لي عليهم سلطان؛ لأنّ الله قال في كتابه: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان). فقال يحيى عليه السلام لا تكذب وقل الصدق، فقال الشيطان: نعم في بعض الأوقات أكون قريبا منك، فقال يحيى عليه السلام و أي وقت هذا؟ قال الشيطان: في حال أكثرت من الطعام، فقال يحيى أعاهد الله إلى آخر العمر أن لا أشبع أبدا. وقال الشيطان وأنا أعاهد أيضا أن لا أتكلم الصدق مع المؤمنين أبدا ولا أنصحهم.

هل تعلم

أنّ أول من كتب الوحي في مكة والمدينة واستمر إلى آخر نزوله هو علي بن أبي طالب عليه السلام كما أشار عليه السلام: (سلوني عن كتاب الله فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها). فقال أبو الكواء: (فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ فقال عليه السلام: (بلى يحفظ علي ما غبت عنه فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي انزل الله بعدك كذا وكذا فيقرأنيه وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه).

دروس

الإدغام في الاصطلاح التجويدي يطلق على التقاء حرف ساكن بحرف متحرك ضمن شروط خاصة فيدخل ويدمج الساكن بالمتحرك فيصيران حرفاً واحداً مشدداً مثل: (وجدتم) (قل ربي) فسمي الحرف الساكن بالمدغم والمتحرك بالمدغم فيه.

نصائح

من الأشياء التي تدعم قوة الصوت وتزيد في جماله قراءة القرآن الكريم وخاصة قراءته في الصباح الباكر بصوت فخم أو متوسط فهو من أحسن ما يحسن الصوت.

مسائل شرعية

مسألة(١): هل يجوز للمجنب والحائض قراءة القرآن الكريم؟

الجواب: لا مانع منه ولكن من دون أن يمسا خط القرآن وكذا لا يجوز لهما قراءة آيات السجدة وهي: (ألم سجدة وفصلت والنجم والعلق).

مسألة (٢): من يعلم بأنه يلحن في قراءته للقرآن الكريم هل يجوز له أن يقرأ القرآن في نهار شهر رمضان؟

الجواب: يجوز من دون قصد الحكاية عن القرآن المنزل ولا يبطل صومه بذلك.

مسألة (٣): ما حكم حمل الحائض أو الجنب لأقراص الكمبيوتر التي تحمل صورا لنصوص سور القرآن الكريم ؟

الجواب: يجوز.

«طبق فتاوى السيد السيستاني»

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
١٤٢٨

Dar Al-Quran Al-Kareem

Sada Al-Qur›an in Brief

Among the activities of Dar Al-Qur›an Al-Kareem (Holy Qur›an Dep.) in Al-Ataba Al-Hussainia (Hussaini Holy Shrine Foundation)is the issuing of a Scientific Qur›anic bulletin under the title (Sada Al-Qur›an) (Echo of the Qur›an). It is aimed to hold discourse with different sections of the Islamic community . It deals with variety of topics that harmonize with nowadays requirements .

In this first issue there are many articles that mainly aim at studying subjects and ideas related to our recent life . These subjects are dealt with objectively as they present conclusions according to the Qur›anic visions and opinions , like the following :

a- In an article titled», Differences in Religion «, the writer concentrates on the question of the positive and negative religious differences according to the Qur›anic point of view .

b- An article like «Peace and War, seen by Qur›anic Perspective « deals with the Qur›anic and Islamic positions about peace and war, and a group of verses is referred to , to prove them .

c- In an article like « Forbidding Abstract Harm by the Qur›an» , the researcher presents several verses which show forbidding abstract harm and its general effects .

d- Topics like «Precaution (taqiah) Evidences in the Qur›an», «Spiritual Guidance in the Qur›an», «Self-purification» and others are proved with verses and their deductions .

This issue , also , includes news , activities and projects of Dar Al-Qur›an , to serve the holy Qur›an , are listed under the title «Qur›anic projects « activating the Qur›anic movement in academic and religious schools and universities .

Interviewing the famous Egyptian Qur›anic Reader , Al-Tarootti , his biography and experiments in modulating the Qur›an are also included in this issue . Under the title « Qur›anic Establishments» there is a brief definition to Dar Sayida Ruqaia in holy Qum. A section called « Qur›anic Harbour « including many topics like «News in brief ,» Legal questions on the Qur›an «, «A lesson tale , «Do you know «, «Question of the Bulletin and « Qur›anic dioms» are followed .

would complain saying

يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا

On other hand the prophet gave good news to those who recite it . They will be highly rewarded and protected against this life›s afflictions . Listeners to the recitation will also be rewarded the same .

Imam Ali (p.b.u.h) says , « Do know that this Qur›an is the true adviser that never deceives , the guide that never misleads and the talker that never tells lies . Any one keeps nearer to it will get increase in guidance and decrease in spiritual blindness , moreover he will never get poverty .

In our life ideologies varied , opinions conflicted and means of communications became big in number . Our enemies put misleading ideologies and beliefs in simple people›s minds. False practices have been adopted in a way that shows Islam , the religion of mercy and humanity , associated with terrorism and aggression specially in non – Muslim countries .

It is more appropriate for us go back to the pure fountain (i-e) the Book of Allah . In this issue we seek success from the master of martyrs , Imam Hussain (p.b.u.h.)

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا . ربنا لاتحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به . واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . انت مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين .

Editor – in – chief

Praise be to Allah , Lord of the Worlds and His Blessings be upon our prophet Mohammed and his pure progeny . May the reappearance of our Imam , the waited Mahdi, the patron of our grace be hastened . Peace be upon him and his fathers .

It is true that our Almighty Lord has honoured Adam›s progeny as He carried them on land and seas , provided them with the best means of subsistence and gave them thorough preference over other creatures . He chose them for commandments and talked to them through His truthful Book which guides them to the best and gives good news to the faithful believers . He will highly reward them with great recompenses in the other life as they respond to His order to recite it (the Book (i.e) the Holy Qur›an) day and night .

It is said in the Qur›an through the master of His creation

وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن

Almighty Allah warned Muslims not to behave idly with It or neglect reciting it , otherwise the prophet

The first issue

Sada Al-Qur'an

Editorial

General Supervision
His Eminence
sheik Abdul - Mahdi Al Karbalai
The General Secretary of
the Hussaini Holy shrine Foundation
(Al-Ataba Al-Hussainia)

Executive Manager
Sheikh Hasan Al-Mansouri
In charge of Dar Al-Quran Al-kareem
in the Hussaini Holy Shrine Foundation

Editor – in – chief
Abood Judi Al-Hilli Ph.D

Editing Manager
Abdul – Hussain Al-Safi Ph.D

Editing Secretary
Ammar Al-Khuzaii

Editorial Staff
Salim Al-Jari Ph.D.
Abdul – Ridha Heichel
Sheikh Qasim Misri Al-Amiri

Linguistic Corrector
Karrar Al-Shemmeri

Translation
Saad Sharif Taher

General Relation & Coordination
Sayid Ayad Al-Ghalibi – Iraq
Zeki Al-Noon – Syria
Sayid Ali Abu Al-Hasan - Lebanon

Design
Ali Morawoj

Looker on printed
Adel Al-Mayah

A Quarterly , Cultural and Qur'anic Bulletin
Issued by Dar Al – Qur'an Al – Kareem
in the Hussaini Holy Shrine (Ataba) Foundation
No. First Year

Contents

Editorial (2-3)

Articles (4- 105)

Differences in Religion / Qur'anic Vision / 4
(By, Mouhamed Al-Shawki)
Precaution (taqiah) Evidences in the Qur'an / 18
(Falih Al-Mousawi)
Forbidding Abstract Harm by the Qur'an / 34
(By, Abdul Al-Hussain Al-Safi Ph .D.)
Proverbs in the Holy Qur'an / 52
(Shaheed Al-Khateeb)
Peace and War in the Qur'anic Vision / 56
(Sayid Natheer Al-Hussaini Ph.D)
Spiritual Guidance in the Qur'an / 66
(By, Fadhil Al-Mousawi Al-Jabiri)
Self-purification and Self – evaluation in the Qur'an / 80
(By, Sheikh Abdul Jaleel Al-Makrani)
Unity Principles in the Holy Qur'an / 94
(By, Shihab Al-Deen Al-Hussaini)

Interview & Interoduction(110-115)

Stand with the reader the great Egyptian Abdel Fattah Tarouti / 110
Ms. House Roqaia (as) the Holy Quran / 114

Qur'anic Projects (116-121)

Qur'anic Project in Iraqi Universties / 116

Rest the Qur'an(122)